وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

حبر هندي

مسرحية



مسرحيات عالمية ٧

تأليف: توم ستوبارد
ترجمة: د. نايف الياسين

حبر هندي

تصميم الغلاف

حبر هنـــدي

مسرحية

تأليف : تــوم ستوبـارد

ترجمة: د. نايف الياسين

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٣م

العنوان الأصلي للكتاب:

INDIAN INK

TOM STOPPARD

حبر هندي: مسرحية / تأليف توم ستوبارد؛ ترجمة نايف الياسين .- دمشق : الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٣م .- ١٨٤ ص؛ ٢٠ سم.

(مسرحيات عالمية؛ ٧)

١- ٨٢٢ إن س ت و ٢- العنوان
٣- ستوبارد ٤- الياسين ٥- السلسلة
مكتبة الأسد

مسرحيات عالمية

«٧»

مقدمة

ولد توم ستوبارد باسم توماس ستراوزلر في ٣ تموز ١٩٣٧ في مدينة زلين في تشيكوسلوفاكيا. عاش سنواته الأولى في سنغافورة والهند خلال الحرب العالمية الثانية، ثم انتقل إلى بريطانيا مع أمه وزوجها في عام ١٩٤٦، حيث كان أبوه قد قُتل في سنغافورة. تلقى تعليمه في نوتنغهامشاير ويوركشاير. عمل صحفياً بين عامي ١٩٥٤ و١٩٦٠، ثم أصبح ناقداً مسرحياً لصالح مجلة «سين» في لندن بين عامي ١٩٦٢ و١٩٦٣. وفي السنوات الأربع التالية، ١٩٦٤ - ١٩٦٨، كتب ستوبارد عدة مسرحيات للإذاعة والتلفزيون.

عُرضت مسرحيته «موت روزينكرانتز وغيلدينستيرن» (*Rosencrantz and Guildenstern Are Dead*) لأول مرة في مهرجان إدنبرة فرينج عام ١٩٦٦. شاهد المسرحية كينيث تينان، الذي كان يعمل حينذاك في المسرح القومي البريطاني، فقدّمها على المسرح القومي عام ١٩٦٧ ثم قُدِّمت على مسرح برودواي في نيويورك في نفس العام، وفازت بجائزة «توني»

لأفضل مسرحية في الولايات المتحدة عام ١٩٦٨. عُرضت مسرحيته «المفتش الحقيقي هاوند» (*The Real Inspector Hound*) عام ١٩٦٨، ثم تبعها عرض مسرحيتي «جسر ألبرت» (*Albert's Bridge*) و«إذا كنتَ مسروراً فسأكون صريحاً» (*If You're Glad I'll Be Frank*) عام ١٩٦٩.

قُدمت مسرحيته «البهلوانات» (*Jumpers*) من قبل المسرح القومي البريطاني عام ١٩٧٢، كما عرضت مسرحيته التي اقتبسها عن مسرحية لوركا «بيت برناردا ألبا» (*The House of Bernarda Alba*) في نفس العام. مسرحيته «صور مشوّهة» (*Travesties*) قُدمت من قبل فرقة شكسبير الملكية عام ١٩٧٤ ثم انتقلت إلى نيويورك عام ١٩٧٥ حيث فازت بجائزة «توني» لأفضل مسرحية. كتب ستوبارد مسرحية «كل صبي طيب يستحق معروفاً» (*Every Good Boy Deserves Favour*) (١٩٧٦) بوحي من صداقته لفيكتور فينبيرغ الذي تعرّض للسجن في تشيكوسلوفاكيا من قبل السوفييت، وبدأ ستوبارد بالتحدث باسم المعارضين بمن فيهم الكاتب المسرحي التشيكي باسلاف هافل، الذي كان قد اتُّهم بإثارة القلاقل. ثم كتب مسرحية «مخالفة مهنية» (*Professional Foul*) التي كرّسها لعام سجناء الضمير الذي أعلنته منظمة العفو الدولية عام ١٩٧٧. في الفترة الواقعة

بين عامي ١٩٨٩ و٢٠٠٣ شغل ستوبارد منصب عضو في مجلس المسرح القومي البريطاني. عُرضت ثلاثيته المسرحية «شاطئ يوتوبيا» (*The Coast of Utopia*)، التي تجري أحداثها في روسيا القرن التاسع عشر، على المسرح القومي عام ٢٠٠٢. مُنح ستوبارد لقب فارس عام ١٩٩٧، وهو يعيش في لندن. من أحدث مسرحياته «أبطال» (*Heroes*) (٢٠٠٥) و«روك آند رول» (*Rock n Roll*) (٢٠٠٦).

في معرض تقييمه لأعمال ستوبارد، كتب الناقد المسرحي مايكل بيلينغتون أن الفكرة الشائعة عنه أنه كان دائماً كاتباً مخاتلاً، يكتب كما لو أنه بهلوان فكري وناسج مذهل للكلمات يبتهج للأفكار ويفتقر إلى العاطفة. ويخلص إلى أنه من الصحيح تماماً أن ستوبارد تنطّع دائماً دون تردد لمواضيع يخشى العديد من الكتاب المسرحيين مقاربتها، بداية بالماورائيات، مروراً بالميكانيك الكمي وفلسفة الأخلاق، وانتهاء بالهبوط على القمر. إلاّ أن وراء كل ذلك ثمة شغف بقضايا إنسانية جوهرية ينضح بقلق متزايد إزاء إساءة استعمال الحرية وطبيعة الحب. قد تكون الفكرة المفتاحية في معظم أعماله هي الصدام؛ ففي مقابلة مع صحيفة «نيويورك تايمز» قال: «أكتب المسرحيات لأن كتابة الحوار هي الطريقة المحترمة الوحيدة التي أناقض فيها نفسي».

في مسرحية «حبر هندي»، التي كتبها ستوبارد عام ١٩٩٥، يتناول التناقض بين الأسلوبين الهندي والأوروبي في الشعر والفنون البصرية. يشرح نيراد داس لفلورا كرو النظرية الهندية الكلاسيكية «للراسات» التسع، وهي تراكيب نغمية تجمع كل أشكال الفنون. ترتبط كل «راسا» بلون، وبمزاج وبنغمة موسيقية. عنوان المسرحية يشير إلى «شرينغارا»، بـــ «راسا» الحب الشهواني المرتبط بلون يمزج بين الأزرق والأسود والإله كريشنا، الذي تظهر بشرته دائماً ملوّنة بالأزرق الداكن. في البداية تشعر فلورا بالحيرة إزاء هذا التراث الفني، لكن وقوعها في حب نيراد يجعلها تدرك أن ذاك هو «اللون الذي يبدو عليه تحت ضوء القمر».

المترجم

الشخصيات

فلورا كرو

كومارسوامي

نزرول

إلينور سوان

إلدون بايك

آنيش داس

نيراد داس

ديفيد ديورانس

ديليب

الحاكم

امرأة إنكليزية

رجل إنكليزي

راجا / سياسي

نِل

إريك

إضافة إلى:

سائلون هنود

خدم في النادي

خدم الراجا

تدور أحداث هذه المسرحية خلال مرحلتين، الأولى في الهند عام ١٩٣٠، والثانية في منتصف ثمانينيات القرن العشرين (في إنكلترا والهند).

لا يُفترض أن يكون هناك حد فاصل في المسرح بين الهند وإنكلترا، أو بين الماضي والحاضر. يمكن لفضاء الخشبة، وحتى للأثاث أن يكون مشتركاً. في هذا المجال كما في غيره، استفادت المسرحية كثيراً من إخراج بيتر وود. التوجيهات المتعلقة بخشبة المسرح والممثلين تنطبق على الإخراج الأصلي لكنها لا تُقَدَّم هنا كمخطط عام لإخراج المسرحية.

«حبر هندي»

مهداة إلى ذكرى لورا كيندال

الفصل الأول

الغسق. تجلس فلورا وحيدة في قطار متحرك. حقيبتها على الرف فوق رأسها. يقترب القطار من المحطة. فلورا تتحدث، ثم تقف لتنزل حقيبتها. مع انتهاء الجزء الأول من حديثها، تكون على رصيف المحطة في جومابور.

فلورا : «جومابور، الأربعاء، الثاني من نيسان. عزيزتي نِل، وصلت هنا من بومبي يوم السبت بعد يوم وليلة في العربة المخصصة للسيدات، متوقفين بين الحين والآخر للتزوّد بالشاي ووجبات الطعام من النافذة على صينيات نعيدها في المحطة التالية عبر النافذة أيضاً حيث يقومون بغسلها؛ ومنذ المحطة الأخيرة وأنا وحدي في العربة، والأضواء تقترب مني لتشهد وصولي إلى رصيف محطة جومابور. كان رئيس الجمعية الثيوصوفية في انتظاري مع عدد من أعضاء اللجنة

الذين وقفوا على مبعدة. لم يكن هناك سجادة حمراء ولا فرقة نحاسية، بل أكاليل من نباتات القطيفة، وجعلني ذلك أفكّر بأن هناك شخصاً مهماً في القطار-».

كومارسوامي: (مقاطعاً) الآنسة كرو!

فلورا : «- واكتشفت أن ذلك الشخص المهم هو أنا.»

كومارسوامي: أهلاً بك في جومابور!

فلورا : «وقد أعجبني ذلك.» شكراً!

(بينما كان كومارسوامي يضع الإكليل حول عنقها).

هذا رائع! هل أنت السيد كومار ...

كومارسوامي: نعم أنا كومارسوامي! هل هذه كل أمتعتك؟! دعيها هناك!

(يصفق بيديه بأبّهة طالباً المساعدة، ثم يصافح فلورا بحماسة.)

فرصة سعيدة، آنسة كرو!

(المصافحة التي بدأت على رصيف المحطة تستمر حتى شرفة «الداك بنغالو» أو بيت الضيافة. يتطلب بيت الضيافة شرفة، وأن يتضمن الجزء الداخلي منه غرفة نوم. على الشرفة طاولة صغيرة وكرسيان على الأقل. هناك لمبة كهربائية غير مضاءة، ومصباح

زيتي مضاء. تحتوي غرفة النوم على سرير تحت ناموسية، ومغسلة، وطاولة صغيرة إلى جانب السرير، ومروحة كهربائية و'بونكا'[1]. هناك باب يفضي إلى حمّام خارج خشبة المسرح.

يحمل الخادم، نزرول، حقيبة فلورا إلى غرفة النوم، ويعود إلى مكانه خارج الخشبة.)

فلورا : (مكملة المصافحة) شكراً!

كومارسوامي: مرحباً بك، عزيزتي الآنسة كرو! وإلى اللقاء! يوم راحة!

فلورا : شكراً لك - لقد كنت لطيفاً جداً ...

كومارسوامي: سأتركك الآن! غداً، نزهة! هل تحبين المعابد؟

فلورا : حسناً، لا أعرف ... أنا متأكدة من أنني ...

كومارسوامي: أنا سأتدبر كل شيء!

(يغادر كومارسوامي منادياً سائق عربته بالهندية.

تبدو الآن حديقة شيبرتون. تجلس هنا السيدة سوان وبايك يشربان الشاي ومعهما صندوق من رسائل فلورا.)

---

(١) مروحة شبيهة بالستارة تتدلى من سقف الحجرة (في الهند). هذه الحاشية وجميع الحواشي الأخرى لهذا النص من وضع المترجم.

فلورا : «واستقر بي الحال خلال وقت قصير في منزل من غرفتين متوسطتي المساحة تحت سقف من الصفيح ... مع إضاءة كهربائية ...

(تحاول إشعال الضوء الكهربائي دون نتيجة.) ... ومصباح زيتي للطوارئ ...».

تنظر إلى الخارج من الشرفة.) «... شرفة تطل على حديقة بائسة ... لكن هناك طاولة جيدة وكرسي، وذلك كاف للعمل ...».

(تتفحص الطاولة والكرسي.) ... وثمة أريكة غريبة مصنوعة من الأغصان المجدولة لوقت الراحة ...) وفي الخلفية ...».

(تختفي خلف زاوية الشرفة حيث تبتعد عن الأنظار، في حين تقلب السيدة سوان صفحة أخرى من الرسالة.)

السيدة سوان: أتمنى لو أنني احتفظت بالمغلفات، لا شك أنها ثمينة الآن، المغلفات الهندية على الأقل.

بايك : أوه، المهم هو الخمر وليس القوارير! هذه الرسائل كنز. قد تكون هي الرسائل العائلية الوحيدة في أي مكان.

السيدة سوان: أعتقد ذلك، حيث إنِّي الفرد الوحيد في العائلة.

بايك : خط يدها أحياناً ... (يناولها رسالة طالباً مساعدتها.)

السيدة سوان: (تفك شيفرة الجزء الذي يشير إليه.) «... مطبخ صغير فيه ثلاجة ...»

فلورا : (تعود للظهور) «... مطبخ صغير فيه ثلاجة! إلاّ أنَّ نزرول، الطبّاخ وغاسل القوارير، يزدري الفرن الكهربائي ويتدبر أموره على شرفة صغيرة خاصة به.»

(تدخل إلى غرفة النوم، حيث تحاول أن تدير مروحة السقف الكهربائية، أيضاً دون نتيجة.)

«في غرفة نومي، إضافة إلى المروحة الكهربائية، هناك بونكا يشغّلها خادم يجلس في الخارج ويحرّكها بوساطة نظام من الحبال والبكرات، أو كان سيشغّلها لو كان موجوداً، ولكنَّه ليس موجوداً الآن. ثم خارج غرفة النوم ...»

تختفي لبرهة من خلال باب.

(السيدة سوان تعطي الصفحة لبايك ويتابعان القراءة بصمت.)

(تظهر من جديد) «... هناك غرفة ملابس مرفقة بحمّام فيه حوض قصديري، ورأس رشاش الحمّام بحجم زهرة دوّار الشمس - دوّار الماء، بالطبع ...»

(ينخر بايك موافقاً.)

«... وكل ذلك تحت شجرة خضراء كبيرة على أغصانها قِرَدة وببغاوات، ويسمى هذا المكان بنغالو(١) البط ...».

السيدة سوان: داك بنغالو.

فلورا : «... رغم أنه لا يمكن رؤية أي بطة.»

(تختفي في الحمام مع حقيبتها.)

السيدة سوان: الداك هو البريد؛ وتلك البيوت كانت مكاتب بريد، عندما كان العداءون ينقلون الرسائل(٢).

بايك : آه ...

السيدة سوان: أحب أن يكون أمامي نوعان من الكعك. ماديرا(٣) هي كعكتي المفضلة.

بايك : أنا بالفعل لست جائعاً.

السيدة سوان: لا ينبغي أن تجعل ذلك عائقاً، سيد بايك، إذا أردتني أن أكون مسرورة منك.

---

(١) البنغالو هو بيت من طابق واحد، ولاسيّما في الريف أو على الشاطئ.

(٢) الخطأ ناجم عن أن فلورا تخلط بين duck وهي البطة وdak بالهندية التي تعني مكتب أو بيت البريد.

(٣) كعكة ماديرا هي كعكة اسفنجية بنكهة الليمون تعتبر جزءاً من المطبخ الإنكليزي التقليدي.

بايك : في الواقع أحب أن أتناول قطعة من الماديرا. (تقتطع له قطعة.) وهلاّ تفضلت وناديتني إلدون؟ (يأخذ قطعة الكعك.) شكراً. (يأكل قضمة منها ويطلق حكماً متأنياً.) رائع.

السيدة سوان: أعتقد ذلك.

بايك : إنها الإثارة. كما تعرفين، ليس هناك أشياء كهذه في المكتبة البريطانية.

السيدة سوان: (بشيء من الرضا والسرور) المكتبة البريطانية!

بايك : جامعة تكساس فيها اثنتان وعشرون مجموعة منفصلة تحت اسم فلورا كرو! ولا يزال لدي المكتبة الوطنية الأسبوع القادم. ستأخذ «الرسائل المجموعة» سنة من حياتي!

السيدة سوان: سنة كاملة لجمعها؟

بايك : (بمرح) الحواشي، الحواشي! المتعة تكمن في الحواشي! لا يمكنك أن تقومي بمجرد جمع رسائل فلورا كرو في كتاب وتطلقين عليه «رسائل فلورا كرو المجموعة». إن مراسلات مشاهير الكتّاب تكتب غالباً دون التفكير بالقارئ العادي. أعني أنهم لا يضيفون حواشيهم. وهذه فرصتنا، والتي يمكن أن تسميها أمانة

مقدسة. تحرير إي. كوبر بايك. ليس هناك صفحة لا تحتاج - انظري - ترين هنا؟ - «رأيت الليلة الماضية حلماً طريفاً حول دردار الملكة.» أية ملكة؟ أي دردار؟ لماذا كانت تحلم بشجرة؟ وهنا يأتي دوري، مرتدياً قبعة المحرر، لأنير الظلمات.

السيدة سوان: إنه اسم حانة في شارع فولام.

بايك : شكراً لك. لهذا السبب خلق الله الروائيين والشعراء، حتى نتمكن نحن من النشر. هل هذه كعكة بالشوكولا؟

السيدة سوان: لماذا، هل تريد ...؟

بايك : لا، فكّرت فحسب: هل كانت شقيقتك تحب الكعك بالشوكولا بشكل خاص؟

السيدة سوان: يا لها من فكرة غريبة. لم تكن فلورا تحب الشوكولا على الإطلاق.

بايك : آه. ذلك مثير للاهتمام. هل تسمحين؟

(يتناول بايك الصفحة التالية من الرسالة عن طاولة الشاي.

تقترب فلورا، مصحوبة بكومارسوامي، الذي يحمل مظلة صفراء ملفوفة)

فلورا : «كانت النزهة والتجوال على بعض المواقع أشبه بعرض ملكي، حيث رئيس الجمعية الثيوصوفية[١] يحمل مظلة فوق رأسي في حين أحاط بنا أعضاء اللجنة على الجانبين على دراجاتهم، أحياناً اثنان على كل دراجة، وتراكض الأطفال أمامنا وخلفنا - شعرت وكأني هيئة كرنفالية تمثّل الإمبراطورية - أو، طبقاً لوجهة نظرك، إخضاع الشعب الهندي، وأنت على حق يا عزيزتي، لكني لم أر في حياتي شخصاً أقل قابلية للإخضاع من السيد كومارسوامي.»

كومارسوامي: لدينا معابد أفضل في الجنوب. أنا من الجنوب. معك حق في أن تميّزي.

فلورا : (بلهجة اعتذارية) هل بدوت وكأني أميّز؟ أنا متأكدة من أنها ليست غلطتهم. الكنائس من الداخل ...

كومارسوامي: أنا أفهمك تماماً، آنسة كرو!

---

(١) تأسست الجمعية الثيوصوفية في نيويورك، الولايات المتحدة، من قبل هيلينا بلافاتسكي، وهنري ستيل أولكوت ووليام كوان جَدج، عام ١٨٧٥ للترويج للمبادئ الروحية ودراسة الماورائيات. بعد عدة سنوات انتقلت بلافاتسكي وأولكوت إلى الهند لتأسيس المقر الدولي للجمعية في مدراس.

فلورا : لكني لا أعرف ماذا أحاول أن أقول!

كومارسوامي: هذا ليس مطلوباً.

فلورا : أخشى أنني لا دين لي، كما ترى.

كومارسوامي: أفهم تماماً! أي دين تخشين أن تكوني بدونه أكثر؟

فلورا : الآن، سيد كومارسوامي، قد يكون التلاعب بالتعابير مقبولاً بالنسبة لبلومزبري[1] لكني أتوقع منك أفضل من ذلك.

«وأخبرته عن السيدة التي كانت تزيّن بيت هربرت، التي سُئلت على سرير موتها عن دينها فقالت للقس، 'أخشى أنني أعبد اللون البنفسجي'».

كومارسوامي: (بتأمّل) بالنسبة لي إنه اللون الرمادي.

فلورا : «سأحب الهند».

بايك : (حاملاً الرسالة) من هو هربرت؟

السيدة سوان: ويلز.

بايك : آه. (متذكراً) هـ. ج. ويلز؟ حقاً؟ (بحذر) لا تقصدين أنه وفلورا ...؟

---

(١) مجموعة بلومزبري هي مجموعة من الكتّاب والفنانين والفلاسفة الذين ارتبطت أسماؤهم بمنطقة بلومزبري في لندن في مطلع القرن العشرين.

السيدة سوان: ينبغي أن ترى وجهك. التقته فلورا قبل أن تغادر.

بايك : تغادر؟

السيدة سوان: إلى الهند. لا بُدَّ أن ذلك كان نحو عيد الميلاد أو رأس السنة. أعتقد أني تلقّيت بطاقة معايدة من باريس (تنبش في الصندوق) كانت فلورا تحب باريس. هنا، انظر ... هل هذه هي؟

بايك : باريس، نعم ... لا، ١٩٢٤ ... إنها إحدى تذكارات الألعاب الأولمبية.

السيدة سوان: نعم، عدّاءة في سباق الحواجز. اعتذرت فلورا علناً في نادي الفنون في تشيلسي. لم نحرز أية ميداليات في الحواجز.

بايك : هل ذلك صحيح، إلينور؟

السيدة سوان: احترس يا إلدون، لن يُسمح لك بكتابة كتاب، حتى ولو أكلت الكعكة كلها. كانت «القصائد المجموعة» مفاجأة سارة وأنا متأكدة من أن «الرسائل المجموعة» ستكون رائعة، إلاّ أن السيرة الذاتية هي أسوأ عذر لسوء فهم الناس.

فلورا : «حتى الآن، الهند تحبني. اجتذبت محاضرتي بيتاً مليئاً، بيت السيد «ك»، في الواقع، هو بيت معقول

أكثر من بيتي، مبني حول باحة، وهناك سقف مسطّح، وهكذا فقد كان جمهوري بين الآلهة كما كانت الآلهة بين جمهوري ...»

(هناك صوت التصفيق. كومارسوامي يواجه الجمهور مع فلورا. الوقت ليل. قد يكون هناك مايكروفون للتصريحات العلنية)

«... وسار كل شيء على ما يُرام، حتى ...»

كومارسوامي: وافقت الآنسة كرو بحكمتها وجمالها على الإجابة على الأسئلة!

فلورا : «- وكان السؤال الأول -

السائل : آنسة كرو، يقال إنك ترتبطين بصداقة حميمة مع السيد هــ. ج. ويلز -

فلورا : «- وفكرت، ’يا إلهي، هذا ليس عدلاً! - أن أقطع كل هذه المسافة لتتناولني ألسنة الناس بالقيل والقال كما لو كنت ما زلت في كوينز إلم‘ -»

بايك : حانة في منطقة فولام في تشيلسي.

فلورا : «- لكني وجدت أنه لم يقصد بالسؤال سوى -»

السائل : هل يكتب السيد ويلز كتبه الشهيرة على الآلة الكاتبة أم بقلم الحبر؟

فلورا : (بتأكيد) بقلم الحبر، قلم ستيلو ماركة ووترمان، هدية من زوجته.

(ثمة هرج ومرج تقديراً لهذه المعلومة.)

«هذا لا يعني أن لدي أدنى فكرة - لم يُبدِ هربرت رغبة كبيرة بكتابة كتبه الشهيرة عندما كنت موجودة.»

بايك : كانت ف. ك. قد التقت ويلز في كانون الأول وهكذا فقد كانت العلاقة قصيرة، ربما في عطلة نهاية الأسبوع الواقعة في السابع والثامن من كانون الثاني؛ التي قضتها في باريس.

فلورا : «بعد ذلك كان هناك حفل استقبال مع الليمونادة والويسكي الهندي ...»

(فلورا وكومارسوامي يتناولان المشروبات عن صينية. ينضم إليهما السائل بعد قليل.)

«... وبعض المأكولات الخفيفة اللذيذة والأحاديث - عزيزتي، لقد تأثرت جداً، إنهم يقرؤون الـ «نيو ستيتسمان» والـ «تي إل إس»[1] كما لو كانتا 'الكتاب المقدّس' على أجزاء، حسناً لا أعني 'الكتاب المقدّس' لكنك تعرفين ماذا أعني، ويعرفون من كتب ماذا وعن

(١) ملحق جريدة «التايمز» الأدبي.

من؛ إنهم كالأطفال الذين يضغطون بوجوههم على قضبان سور حديقة لا يستطيعون الدخول إليها. يسألونني -»

السائل : ما رأيك بغيرترود ستاين، آنسة كرو؟

فلورا : أوه ...

«- ولا أستطيع أن أقول إنها مومس عجوز سامة مسافرة على بطاقة رصيف(١) ...»

بايك : ذهبت فلورا كرو لتناول الشاي مع غيرترود ستاين ورفيقتها ب. توكلاس في باريس عام ١٩٢٢. أما الأسطورة القائلة إنَّ ستاين رمت ف. ك. خارج الشقة لأنها طلبت من الآنسة توكلاس أن تعطيها وصفة كعكة الشوكولا التي أعدّتها فلا يمكن الركون إليها؛ إذ لم تكن ف. ك. تحب الشوكولا على الإطلاق.

فلورا : «ثم التقيت رسامي ...»

داس : آنسة كروُ، هل لي أن أهنئك على محاضرتك. لقد وجدتها ممتعة جداً!

فلورا : شكراً ...!

---

(١) بطاقة الرصيف تسمح لحاملها بالدخول إلى محطات القطارات والتمشي على أرصفتها دون أن تمكّنه من ركوب القطار.

داس : فوجئت بأنك لم تذكري فيرجينيا وولف.

فلورا : نادراً ما أفعل.

داس : هل التقيت جورج برنارد شو؟

فلورا : نعم. كدت أشارك في إحدى مسرحياته ذات مرة.

داس : لكنك لست ممثلة ...؟

فلورا : لا، تلك كانت المشكلة.

داس : ما رأيك بجومابور؟

فلورا : حسناً، وصلت هنا في الأول من أمس لكن -

داس : طبعاً يا له من سؤال سخيف!

فلورا : لا، أبداً. كنت سأقول إن انطباعي الأول -

داس : لا يمكن بأي شكل مقارنة جومابور بلندن. هل تعيشين في بلومزبري؟

فلورا : لا، أنا أعيش في تشيلسي.

داس : تشيلسي - طبعاً! منطقتي المفضلة في لندن!

فلورا : أوه! أنت ...؟

داس : آمل أن أزور لندن ذات يوم. تشيلسي التي عاش فيها تيرنر وجماعة ما قبل - الرفائيليين! - روزيتي عاش في تشين ووك! هولمان هَنت عاش

في شارع أولد تشيرش! ’الراعي المأجور‘ رُسمت في شارع أولد تشيرش! ستكون زيارة تشيلسي مصدراً رائعاً للإلهام!

فلورا : أنت رسام!

داس : نعم! نيراد داس.

فلورا : فرصة سعيدة.

داس : أنا سعيد جداً. شكراً. هل لي أن أقدم لك هدية؟

فلورا : أوه ...

داس : أرجوك ألاّ تطلقي حكماً قاسياً عليها آنسة كرو ...

فلورا : شكراً!

داس : أنا بالطبع أرسم بالزيت، وينسور ونيوتن.[١] إذا تكرّمت بالجلوس لأرسم بورتريه لك فسأكون سعيداً بمكافأتك على لوحتك بالكلمات التي رسمتها للحياة الأدبية الصاخبة في لندن.

فلورا : هل يمكن أن تفعل ذلك فعلاً؟

داس : أريد فعلاً أن أفعل ذلك!

---

(١) إشارة إلى شركة تنتج مواد الرسم تستمد اسمها من مؤسسيها وليام وينسور وهنري نيوتن اللذان أسساها في لندن عام ١٨٣٢.

(يخرج داس مجموعة من ورق الاسكتشات ويقطع واحدة منها. يناولها إياها بخجل.)

فلورا : «... وأعطاني اسكتشاً بقلم الرصاص وأنا أتحدث عن الحياة الأدبية.»

(تتبع فلورا خطواتها مع كومارسوامي.)

بايك : تذكر اسكتشاً بقلم الرصاص. هل تعرفين ماذا حدث له؟

السيدة سوان: أنا متأكدة من أنني لم أره. كنت سأتذكر لو أنه كان بين الأشياء التي تركتها. كان هناك حقيبة واحدة فقط.

بايك : هل ما زلت تحتفظين بها؟

السيدة سوان: ماذا؟ حقيبتها؟ يا إلهي، كانت شيئاً قديماً مشوّهاً حتى في ذلك الوقت، وكانت مسافرة دائماً، وأنا وإريك كان لدينا مستودع صغير ...

بايك : رميت حقيبة فلورا كرو؟

السيدة سوان: ماذا تريد، إلدون؟ متحف حقائب؟ فعلاً، تبدو كامرأة عجوز في اهتمامك بها؛ أما أنا فلا.

بايك : لكنها كانت فلورا كرو!

السيدة سوان: (بلهجة قاطعة) حسناً، إذا كان الأمر كذلك فأين كان كل هؤلاء المهتمون بها قبل ستين عاماً؟

(السيدة سوان تملأ أكواب الشاي من جديد. يتناول بايك رسالة أو رسالتين أخريين من الصندوق ويتفحصهما.

في بيت الضيافة، يصل نيراد داس على دراجة. الصندوق الخشبي الذي يستعمله في عمله مربوط بسرج الدراجة. حامل اللوحات المطوي محزوم إلى ظهره. يقود الدراجة بيد واحدة في حين يحمل قماشة اللوحة في اليد الأخرى.

تخرج فلورا، بفستانها الأزرق، من الداخل.)

فلورا : صباح الخير!

داس : آنسة كرو! ها أنا ذا! متأخر قليلاً! أرجو المعذرة!

فلورا : لم ألاحظ - كنت أكتب رسالة. هل يبدو فستاني على ما يرام؟

داس : (بارتباك) جيد، جيد جداً.

فلورا : الآن ... سيكون هذا رائعاً، سنعمل كلانا. شاعرة ورسام. عمل قيد الإنجاز.

(يفك داس صندوقه ويجلس على الشرفة. تجلس فلورا إلى طاولتها.

بايك يتفحص رسالة.)

بايك : تقول صباغ على الورق.

السيدة سوان: نعم.

بايك : «... لطخة صباغ على الورق ...» - «ربما ستبقى روحي كلطخة صباغ على الورق» ... إنها تشير إلى لوحة فعلية، أليس كذلك؟

السيدة سوان: لا أعرف.

بايك : و«عارية». تقول «عارية». لوحة عارية. على الورق. يعني أن تكون تلك لوحة مائية، أليس كذلك؟

السيدة سوان: ماذا تعني؟ ليس هناك ذكر لأية لوحة.

بايك : حسناً، إذا لم تكن تعني لوحة لفلورا وهي عارية، ماذا تعتقدين أنها تعني؟

السيدة سوان: يمكن أن تعني كثيراً أو قليلاً، كما ترغب. أليس ذلك معنى أن يكون المرء شاعراً؟

بايك : لا أعرف، أنا لست شاعراً، لكن نص الرسالة دقيق، البيت المهجور ... أين ذلك الجزء؟

السيدة سوان: بين أسنانك، إلدون.

بايك : هنا. «في بيت فارغ ...» - «ربما ستبقى روحي كلطخة صباغ على الورق، كما لو كنت دائماً هنا، مثل ... رادا؟

السيدة سوان: رادا.

بايك : «- أجمل الراعيات، عارية -»

السيدة سوان: (مقاطعة، برشاقة) حسناً، البورتريه، بالمصادفة، هي على القماش وفلورا ترتدي فستانها الأزرق.

بايك : بورتريه؟

السيدة سوان: تذكر البورتريه في مكان ما. كانت ملفوفة في الحقيبة.

بايك : إيلينور ... هل تقصدين أن هناك بورتريه لفلورا؟

السيدة سوان: هل تريد أن تراها؟

بايك : يا إلهي.

السيدة سوان: إنها بشعة، كملصق لأحد الأفلام الهندية. أعتقد أني أعرف أين هي لكني أحتاج مساعدتك لإنزالها. هل ندخل؟ ستغيب الشمس قريباً.

بايك : يا إلهي. لكن هذا ... يا إلهي. لم يكن هناك بورتريه حقيقية.

السيدة سوان: ذلك صحيح. عدا بورتريه باريس؛ لكن تلك كانت على القماش كذلك.

بايك : بورتريه باريس ...؟

السيدة سوان: نعم، أول مرة تذهب فلورا إلى باريس، كانت تقود سيارة إسعاف، رسمياً، في السنة الأخيرة من

الحرب ١٤' – ١٨'... وهكذا كانت في الثالثة والعشرين، على ما أعتقد، عندما التقت موديلياني(١).

بايك : موديلياني؟

السيدة سوان: أوه، لقد التقت فلورا بكل الناس. هذا لا يعني أن موديلياني كان مهماً حينذاك.

بايك : بورتريه رسمها موديلياني؟

السيدة سوان: كنت في التاسعة وقت الهدنة، وهكذا كان ذلك، يا إلهي، قبل ستة وستين عاماً! لقد اقتربت من الخامسة والسبعين.

بايك : إلينور ... أكاد لا أصدق أذني.

السيدة سوان: أخشى أن هذه هي الحقيقة. ولدت عام ١٩٠٩. لكن شكراً لك، إلدون. خذ قطعة أخرى من الكعك.

بايك : لا - شكراً - أنا - أعذريني: بورتريه لفلورا رسمها موديلي -

السيدة سوان: نعم. لوحة عارية. أنا شخصياً لم أرها. كنت في المدرسة، طبعاً، ثم، كان قد فات الأوان.

---

(١) أميديو موديلياني (١٨٨٤-١٩٢٠)، رسام ونحات إيطالي انتقل للعيش في باريس عام ١٩٠٦.

بايك : فات الأوان؟

السيدة سوان: نعم، أليس ذلك من سوء الحظ؟ صورة فلورا الملونة التي تبدو فيها كفلّينة في عاصفة، بقيت على سطح خزانة في بنغالو في شيبرتون، وبورتريه موديلياني، التي كان يمكن أن تدفع ثمن البنغالو عدة مرات، احترقت حتى تحوّلت إلى رماد في مغطس حمام في فندق الريتز.

(عند هذه النقطة تنتهي من وضع كل شيء على صينية الشاي وتغادر حاملة إياها.)

بايك : هل لك أن تعيدي ما قلت مرة أخرى؟

(يترنح بايك خلفها.

فلورا، بفستانها الأزرق، تجلس إلى الطاولة على الشرفة، تكتب في دفتر ملاحظاتها بقلم حبر. تتوقف، تفكّر، تجلس ساكنة. قدماها عاريتان وحذاؤها موضوع بشكل مرتَّب إلى جانبها. داس يرسم بورتريه لها.)

فلورا : (مسجل) «نعم أنا في الطقس الحار كعروس في حمّام،

دون أسرار، غارقة في الهواء الحار

الذي يتحول إلى سائل ما أن ألمسه ويفيض،

مقصّراً النفس، نعم

لقد اكتُشفت، وجدني الحر،

لطخة لا تتوقف عند شيء،

لا البوابات المعصورة ولا الفضاءات البيضاء،

تنزلق في المطبعة وتنسخني على الصفحة

نعم، فكّر بامرأة في بيت من الشبك

تعصر الأكسجين من الهواء

مكثِّفة الليل إلى حبر هندي

أو فكّر إذا شئت -»

(فلورا وضعت رجلاً فوق رجل لاشعورياً، مما يوقف عمل داس. ينتظر بصبر.

(تلاحظ أن داس قد توقف.)

أوه ...

داس : لا، أرجوك ارتاحي.

فلورا : أنا آسفة! (تضع قدميها جنباً إلى جنب.) هل كنت جالسة هكذا؟

داس : أنت صبورة معي. أعتقد أن طبيعتك لطيفة.

فلورا : هل تعتقد ذلك، سيد داس؟

داس : أنا متأكد من ذلك. هل لي أن أسألك سؤالاً شخصياً؟

فلورا : هذا سؤال شخصي.

داس : يا إلهي، هل هو كذلك؟

فلورا : أنا أعتقد ذلك دائماً. أشعر دائماً بأنه كذلك. إنك تطلب تفويضاً مطلقاً، سيد داس. هل سأكشف نفسي لك؟

داس : (يضطرب قليلاً) كان سؤالي حول قصيدتك فحسب!

فلورا : على الأقل فإنك عرفت أنها شخصية.

داس : لن أسأل سؤالي الآن، بالتأكيد.

فلورا : على هذا الأساس سأجيب عنه. قصيدة عن الحر.

داس : أوه. شكراً.

فلورا : أتابع جلستي. القلم يعود إلى الورق. الساقان غير متقاطعتين. أنت أول رجل يرسم أظافر رجلي.

داس : في الواقع، فأنا منشغل بتلافيف تنورتك.

فلورا : آه. لست أول من يهتم بذلك.

داس : لقد رُسمتِ من قبل؟ - لكن بالتأكيد رُسمت من قبل! عدة مرات، كما أتوقع!

فلورا : هل تعلم، سيد داس، طبيعتك ألطف من طبيعتي بكثير.

(فلورا تتابع. داس يتابع.

يدخل آنيش داس إلى حديقة شيبرتون. يحمل حقيبة يد طرية؛ يجلس على أحد كراسي الحديقة.)

سيد داس، لقد كنت أفكر بأن أطرح عليك سؤالاً حساساً، كصديق وفنان.

داس : أوه، آنسة كرو، إنك ترفعيني إلى أبعد آمالي فانتازية بصداقتك! هذا يوم مشهود ولا شك!

فلورا : إذا كنت ستصبح هندياً جداً فلن أسألك.

داس : لكني لا أستطيع أن أكون أقل هندية مما أنا عليه.

فلورا : يمكنك إذا حاولت. لست متأكدة أني سأسألك الآن.

داس : إذاً لا ينبغي أن تسألي، عزيزتي آنسة كرو! السؤال الذي لم يسأل، الذي كاد أن يسأل، وحّدنا للحظة في حميميته، التقينا في عقلك كشرارة في زجاجة مفرغة، ولا يمكن أن تنكري تاريخية هذا اليوم.

فلورا : ما زلت تفعلها، سيد داس.

داس : تريدينني أن أكون أقل هندية؟

فلورا : قلت ذلك لكنّني أعتقد أن ما عنيته هو أني أريدك أن تكون أكثر هندية، أو هندياً على أية حال، ولست متأنجلاً ومتلاطفاً ككلب اللابرادور قالباً الأشياء عن الطاولات بذيلك - طريف منك أن تشبّه عقلي بزجاجة فارغة. أنت تفعل ذلك معي فحسب، أنا لا أعتقد أنك لو تُركت لنفسك لا تستطيع أن تجري محادثة دون أن

تقفز خلفاً عبر أطواق من البهجة، وأعني بأطواق البهجة، على ما أعتقد؛ في الواقع فإني أعرف ما أعنيه، أريدك أن تكون معي كما لو كنت هندية.

داس : هندي، آنسة كرو! أجل، ذاك تركيب عقلي لا يقابله شيء في العالم المادي.

فلورا : وكذلك وحيد القرن، لكن بإمكانك تخيّله.

داس : يمكن تخيّله لكن لا يمكن امتطاؤه.

فلورا : كل ما كنت أطلبه أنا هو التخيّل.

داس : (بانزعاج شديد) أوه! أوه، يا إلهي! - لم يكن قصدي - أؤكد لك - .

فلورا : (متسلية) لا، لا، لا تستطيع أن تعود عن مزحتك. لقد قلبت كل شيء عن الطاولة، التحف والزهريات على السجاد، علبة السعوط - (لكنها تسيء الحكم).

داس : (بضيق) أنت تقسين علي، آنسة كرو!

فلورا : (تندم مباشرة) أوه! أنا آسفة. لم أقصد ذلك. إنها طبيعتي. أرجوك أخرج من خلف ذلك الحامل وانظر إلي.

داس : هل يمكن أن نصمت، إذا سمحت. أفضّل أن أعمل بصمت.

فلورا : لقد أفسدت كل شيء. أنا آسفة.

داس : لقد تحرك الظل. عليّ أن أصححه.

فلورا : نعم، لقد تحرك. لا يمكن إصلاحه. علينا أن ننتظر إلى الغد. أنا آسفة.

(يتابع داس العمل على اللوحة. تحافظ فلورا على جلستها، لكنها تثبت غطاء القلم.

يقف آنيش عندما تقترب السيدة سوان التي تظهر من البنغالو ومعها صينية عليها شاي لاثنين، ونوعين من الكعك).

آنيش : دعيني أساعدك.

السيدة سوان: لقد نسيت سكّرك.

آنيش : في الواقع أنا لا أتناول السكّر.

السيدة سوان: أوه. توقّعت أن تكون أكثر هندية.

(يضعان الصينية على الطاولة ويجلسان.)

آنيش : هذا لطف منك.

السيدة سوان: أوه لا. كانت رسالتك لا تقاوم. أن يتاح لي شرب الشاي مع فنان هو خارج حدود آمالي في وقت خرفي. سنترك الشاي دقيقة. هل تعتقد أنك تشبه أباك؟

آنيش : لا أعرف. أحب أن أعتقد ذلك. إلاّ أن والدي كان رجلاً عانى من أجل معتقداته بينما لم يكن علي أن أفعل ذلك، وهكذا فربما لا أعرف أبداً.

السيدة سوان: لقد عنيت كونك رساماً. أنت رسام كوالدك.

آنيش : أوه ... نعم. نعم، أنا رسام كأبي. رغم أني لست كأبي على الإطلاق، بالتأكيد.

السيدة سوان: تعني أن أباك كان رساماً هندياً؟

آنيش : رسام هندي؟ حسناً، أنا هندي بقدر ما كان هو هندياً. لكن نعم. أفترض أني لست رساماً 'هندياً' ... لست رساماً هندياً بشكل خاص، أو ...

السيدة سوان: لست رساماً ذا خصوصية هندية.

آنيش : نعم. لكن، هو لم يكن كذلك. عدا عن كونه هندياً.

السيدة سوان: كما أنت.

آنيش : نعم.

السيدة سوان: رغم أنك لا تشبهه أبداً.

آنيش : لا. نعم. كان أبي فناناً مختلفاً تماماً، رسام بورتريهات كما تعلمين ...

السيدة سوان: لا أستطيع أن أقول إنني أعلم، سيد داس. لم أكن أعرف شيئاً عن أبيك حتى تلقيت رسالتك. في الواقع، فقد كان التعليق «فنان هندي غير معروف» وصفاً دقيقاً للحالة ...

آنيش : لقد كان معروفاً جيداً في جومابور!

السيدة سوان: ... إذا كان والدك بالفعل هو الذي رسم بورتريه فلورا.

آنيش : أوه، من المؤكد أن البورتريه من عمل والدي، سيدة سوان! لا يمكن أن تتخيلي شعوري عندما رأيت الكتاب في واجهة المكتبة - الإثارة التي أحسست بها! إني أحمل نسختي أينما ذهبت.

(يتناول «الرسائل المجموعة» من حقيبته. على الغلاف بورتريه فلورا رسم نيراد داس).

السيدة سوان: حسناً، آمل أن يكون هناك العديد من أمثالك، سيد داس.

آنيش : لن يكون هناك أحد مثلي، سيدة سوان! لم أهتم بالكتاب، بالتأكيد، بل باللوحة التي على الغلاف، والنسخة الثانية منها داخل الكتاب. لو أنه كان يعلم أن البورتريه التي رسمها لفلورا كرو ...

السيدة سوان: ربما كان سيُسَر أكثر لو كانت في واجهة صالة لعرض اللوحات بدلاً من واجهة مكتبة.

آنيش : ربما لا. أنا متأكد من أنّ أياً من لوحات أبي لم تطبع، وتلك سعادة غير عادية للفنان. أنا أعرف! بالتأكيد فإن اللوحة التي تحت يده هي كل شيء ... هي قطعة

فريدة. لكن الطبع على نسخ يعني الشهرة! أن نوضع على أغلفة الكتب - التقاويم - علب البسكويت! أوه، لا شك أنه كان سيشعر بالفخر!

السيدة سوان: بالمناسبة، ماذا كانت معتقدات والدك؟

آنيش : (بدهشة) لماذا ... نحن هندوس ...

السيدة سوان: قلت إنه عانى بسبب معتقداته؟

آنيش : أوه، قصدت آراءه.

السيدة سوان: كيف عانى؟

آنيش : وضع في السجن.

السيدة سوان: حقاً؟ من وضعه في السجن؟

آنيش : حسناً، أنتم.

السيدة سوان: أنا؟ أوه ... نحن. لكن كيف عرفنا طبيعة آرائه؟

آنيش : يبدو أنه شارك في بعض النشاطات ضد الراج(١) خلال الاحتفال بعيد الإمبراطورية في جومابور.

السيدة سوان: إذاً فقد وضع في السجن بسبب أفعاله، وليس بسبب آرائه، سيد داس، ومن الواضح أنه كان يستحق ما جرى له. هل تريد شريحة من هذه الكعكة؟

---

(١) الراج هو الحكم البريطاني للهند.

آنيش : شكراً.

السيدة سوان: فيكتوريا سبونج أو باتنبيرغ؟

آنيش : أوه ...

السيدة سوان: فيكتوريا سبونج هي المفضلة بالنسبة لي، بما في ذلك مربى توت العليق.

آنيش : نعم سآخذ قطعة ... شكراً.

السيدة سوان: شاي؟ لكن لا شك أن كل ذلك جرى قبل أن تولد.

آنيش : أوه، نعم، أنا ابن أبي من زوجته الثانية. ولدت بعد الاستقلال بوقت طويل، بينما دخل والدي السجن في جومابور عام ١٩٣٠.

السيدة سوان: ١٩٣٠! لكن ذلك كان عندما كانت فلورا في جومابور!

آنيش : نعم، أعلم. ولذلك أنا هنا.

(السيدة سوان تصب الشاي.

تزيح فلورا الغطاء عن قلمها.)

فلورا : هل نحن أصدقاء هذا الصباح؟

داس : آمل ذلك! لماذا تسألين؟ هل حدث شيء؟

فلورا : أوه، لا.

(تضحك. يعبس، ويرسم).

حسناً، إذا كنا أصدقاء فسأطلب منك أن تكتب شيئاً على الاسكتش الذي رسمته لي.

(تتناول الاسكتش المرسوم بقلم الرصاص).

داس : أوه، لكن ذلك كان مجرد خربشة! حتى أنه لا يشبهك!

فلورا : رغم ذلك.

داس : أوه.

(يشعر وكأنه أُخذ على حين غرة لكنه يدرك أنها تمازحه. يضحك).

فلورا : نعم، لن تصبح شيئاً مهماً بهذا.

(يحضر نزرول، الخادم، إبريقاً من الليمونادة وكأسين ويضعها جميعاً على الطاولة).

حان وقت مامبي باني!

نزرول : نيمبوباني!

فلورا : (تنهض) شكراً، نزرول ... شكريا!

يجيب نزرول ويخرج).

داس : في الواقع لدي شيء لك، هدية صغيرة.

فلورا : حقاً؟ لا ينبغي أن تعطيني كل هذه الأشياء، سيد داس!

داس : حسناً، إنها هدية بمناسبة عيد ميلادك.

فلورا : خصوصاً، لا ينبغي أن تعطيني هدايا عيد ميلاد في غير عيد ميلادي.

(يناولها داس كتاباً قديماً لكنه في وضع جيد. لونه أخضر وظهره بني. في الواقع إنه نسخة من كتاب إيميلي إيدن «في الريف» [١٨٦٦]).

داس : لم أشتره، إنه أحد كتب أبي التي أريد أن أعطيك إياها. رسائل سيدة إنكليزية سافرت في أنحاء الهند قبل مئة سنة.

فلورا : (مبدية سروراً حقيقياً) أوه، لكن هذا هو الكتاب الذي أحتاجه! شكراً! «في الريف» ... إيميلي إيدن. أوه، إنها هدية رائعة!

داس : حسناً ... سأكتب، «لتتذكري جومابور وصديقك الفنان نيراد داس». وسأرسم نفسي وأنا أستمع إليك.

(تسكب فلورا النيمبوباني. يكتب داس على الاسكتش بقلم الحبر، ويجلس ليرسمها).

آنيش : عندما التقى أبي فلورا كرو كان أرملاً منذ عدة سنوات، رغم أنه كان لا يزال شاباً، أصغر منها، نعم، بداية فصل الحر عام ١٩٣٠ ... كان عيد ميلاده الرابع

والثلاثين في الثاني من نيسان، بعد أن التقى شقيقتك بقليل. كانت زوجته قد ماتت بالكوليرا ولم يكن عنده أطفال. لا أعرف شيئاً عن حياة أبي قبل ولادتي. أقدم ذكرياتي عنه أنه كان رجلاً كبيراً لا يتحدث كثيراً، إلاّ عندما كان يقرأ لي. كان يحب أن يقرأ بالإنكليزية. روبرت براوننغ، تينيسون، وكتاب ماكّولي «خطط روما القديمة»، وديكنز بالتأكيد ...

السيدة سوان: يا للمفاجأة.

آنيش : أوه، نعم - انتقل من مدرسة تدرّس باللغة المحلية إلى كلية إلفينستون في بومبي، ويكفي أن تنظري إلى كلية إلفينستون لتعرفي أنها بنيت لتلقيننا ثقافة إنكليزية محترمة.

السيدة سوان: قصدت، بالنظر إلى 'آرائه'. لكني تكلمت دون أن أفكر. شارك أبوك في نشاطات ضد الحكم البريطاني وفي الوقت نفسه كان يحب الأدب الإنكليزي، مما يعبر عن استقامة وثبات.

آنيش : (يضحك) عموماً، نجح تعليمنا بشكل مثير للإعجاب! في جومابور كنا 'مخلصين'، كما يمكن أن تقولي، كنا مخلصين للحق البريطاني طوال حرب الاستقلال الأولى.

السيدة سوان: الــ ...؟ أي حرب تلك؟

آنيش : انتفاضة ١٨٧٥.

السيدة سوان: أوه، تعني التمرد. ماذا سميتها؟

آنيش : عزيزتي السيدة سوان، التاريخ الإمبريالي هو مجرد... لا، لا، - أؤكد لك أني لم آت إلى هنا لأعطيك درساً في التاريخ.

السيدة سوان: لا يبدو أنك مؤهل لفعل ذلك. لقد كنا كالرومان بالنسبة لكم. وكان يمكن أن نكون كالنورمانديين.

آنيش : وهل كنتم تتوقعون أن نُقِرَّ بجميلكم؟

السيدة سوان: هذا غير مهم. لا أعتقد أنني كنت سأشعر بالعرفان بالجميل لو أن عدداً كبيراً من الرومان أتوا إلى بريطانيا وبدأوا بوضع قوانينهم وتدريس اللاتينية وهكذا. كنت سأفكر، «يا لها من وقاحة». «اذهبوا وخذوا معكم طرقاتكم وحماماتكم.» لا يهم ما كنت سأفكر به عندها. المهم هو ما أفكر به الآن. أنت تتحدث الإنكليزية أفضل من معظم الشباب الذين ألتقيهم. هل درست هنا؟

آنيش : لا، ذهبت إلى مدرسة دير في ... أنت تنصبين لي فخاً، سيدة سوان!

السيدة سوان: أي فخ ذاك، خذ مزيداً من الكعك.

آنيش : سيدة سوان، أنت امرأة خبيثة جداً. تطرحين فكرة منافية للعقل ثم تحاولين أن تملئي فمي بالكعك كي لا أرد عليك. سأقاومك وأقاوم كعكك. نحن كنا الرومان! كنا في غاية التقدم عندما كنتم أمة متخلفة. الأجانب الذين غزوكم وجدوا بلداً من العالم الثالث! حتى عندما اكتشفتم الهند في أيام شيكسبير، كان لدينا أمثال شيكسبير. وكان لدينا علومنا ومعمارنا وآدابنا، كان لدينا ثقافة أعرق وأكثر عظمة، كنا أغنياء! بالنتيجة، أنتم أتيتم لأننا كنا أغنياء. (لكنه أساء الحكم.)

السيدة سوان: (بغضب) لقد جعلناكم بلداً محترماً! وعندما غادرنا سقطتم وتفتتم مثل همبتي دمبتي![1] أنظر إلى الخريطة! يجب ألاّ تشعروا إلاّ بالخجل!

آنيش : أوه، نعم ... أنا ضيف هنا وقد كنت ...

السيدة سوان: (تهدأ) لا، هذا لاستفزازك فحسب. هل ستعود من حيث جئت؟

آنيش : (محتاراً) أحب أن أعود إلى حيث جئت؟

السيدة سوان: (محتارة كذلك) لا. ماذا تقصد؟

---

(١) شيء أو شخص ما إن يسقط حتى يستحيل إنهاضه أو إصلاحه.

آنيش : (يفهم ما تعنيه) أوه - حيث جئت! لم أعني أني ضيف في إنكلترا. إنكلترا هي بلدي الآن. لقد قضيت نصف حياتي هنا. تزوجت هنا.

السيدة سوان: فتاة إنكليزية؟

آنيش : نعم. التقينا في مدرسة الفنون.

السيدة سوان: (موافقة) فنانون معاً.

آنيش : في الواقع لم تكن طالبة، كانت تعمل كموديل في المرسم.

السيدة سوان: بالتأكيد، هل ما زالت موديلك؟

آنيش : لا. لم أعد أرسم بتلك الطريقة.

السيدة سوان: كيف ترسم الآن إذاً؟

آنيش : حسناً، رسومي الآن تفكيكية.

السيدة سوان: خسارة.

آنيش : لا يزال بإمكاني الرسم إذا أردت. هل لي أن أرسمك؟

السيدة سوان: أوه، لا، هذا آخر شيء أحتاجه -

آنيش : لا، من أجلي أنا.

السيدة سوان: أوه، لماذا؟

آنيش : مجرد اسكتش بقلم الرصاص. لا ينبغي أن نقاوم عندما تحاول الحياة أن تغلق إحدى دوائرها المتعددة!

السيدة سوان: هل هذا في الهندوسية؟

آنيش : داس: أوه ... لا أعرف. ربما.

السيدة سوان: حسناً، يبدو لي وكأنه من شرق السويس. حسناً إذاً. يمكن أن ترسمني.

آنيش : سيجعلنا ذلك أصدقاء.

(يأخذ آنيش دفتراً للرسم من حقيبته ويبدأ برسمها.

فلورا وداس يجلسان إلى الطاولة مع الليمونادة.)

فلورا : بينما كنت أتناول تيفين[١] على الشرفة أسقطت بعض الكيدغري[٢] على ثوبي وذهبت إلى الجيمخانا[٣] بالبيجاما كالكولي[٤].

داس : كنت أشتري شوتني[٥] في البازار عندما هرب قاطع طريق من التشوكي[٦] وقتل بوكس والا[٧] وتسبب في هرج ومرج في السوق وانتهى إلى السقوط في المولیغاتاوني[٨].

---

(١) الغداء.

(٢) وجبة هندية تتكون من السمك المطبوخ والمقطّع إلى رقائق، مع الأرز المسلوق، والبقدونس، والبيض المسلوق، والكاري، والزبدة وأحياناً الزبيب.

(٣) الصالة الرياضية.

(٤) عامل وضيع.

(٥) جملة متنوعة من التوابل تتكون من البهارات والخضار والفواكه.

(٦) السجن.

(٧) بائع متجوّل.

(٨) الشوربة.

فلورا : ذهبت دولالي[١] في الدوربار[٢] وأعادوني إلى بلايتي[٣] وأنا أشعر بدولي[٤] وشيء من الديكي[٥] مع كوب من الشار[٦] والشيت[٧] مقابل شوتابيغ[٨].

داس : نعم، وهكذا أرسل البورا صاحب[٩] الذي بدا بوكا[١٠] جداً وهو يرتدي التوبي[١١]، أرسل كولي للميم صاحب -

فلورا : لا، لا. لا تستطيع استعمال ميم صاحب[١٢] وصاحب[١٣]، هذا غش - وعلى أية حال فقد سبقتك بقول كولي.

---

(١) بجنون.

(٢) البلاط الملكي.

(٣) بالعامية الإنكليزية تعني بريطانيا ومشتقة بالأصل من كلمة ولاية العربية.

(٤) بالبطولة.

(٥) الإثارة.

(٦) شاي.

(٧) فاتورة.

(٨) إناء صغير للشراب.

(٩) الرجل الهام.

(١٠) راقٍ.

(١١) خوذة خفيفة مغطاة بالقماش.

(١٢) صيغة مخاطبة تظهر الاحترام للمرأة الأوروبية.

(١٣) صيغة مخاطبة تظهر الاحترام للرجل الأبيض الأوروبي.

داس : أعترف، آنسة كرو. أنت بطلة الهوبسون - جوبسون![1].

فلورا : أنت شهم، سيد داس. وهكذا سأعترف أني تلقيت بعض المساعدة. لقد وجدت قائمة كاملة بالكلمات الأنغلو - هندية في درج الطاولة إلى جانب سريري، من أجل المسافرين.

داس : لكني أعرف اللغتين، وهكذا فإنك ما زلت تستحقين الفوز.

فلورا : أين تعلمت كل شيء، سيد داس؟

داس : من الكتب. أحب ديكنز وبراوننغ، وشيكسبير طبعاً - إلاّ أن كاتبتي المفضلة هي أغاثا كريستي! «المسألة الغامضة في ستايلز»! - أوه، تلك المرأة عبقرية! لكني أحب أن أتمكن من الكتابة مثل ماكّولي.

فلورا : يا ساتر.

داس : علي أن أشكر اللورد ماكّولي على اللغة الإنكليزية. لقد كانت فكرته هو عندما كان في حكومة الهند أن ندرس كلنا اللغة الإنكليزية. كان يرغب بإيجاد موظفين لشركة الهند الشرقية، لكنه كان يزرع أسنان تنين. عوضاً عن

---

(١) مسرد للكلمات والعبارات الأنغلو - هندية. لغرض المحافظة على الانطباع بأن هذه كلمات مختلفة عن السياق الإنكليزي الخالص، فقد تركت في النص كما تُلفظ وقُدّمت ترجمتها في الحواشي.

إنتاج الكتّاب الموظفين فقد أنتج محامين، وصحفيين، وموظفين حكوميين، أنتج غاندي! كما تعرفين لدينا عدد كبير جداً من اللغات، والإنكليزية هي اللغة الوحيدة التي بإمكان القوميين أن يتواصلوا بها! تلك نكتة جيدة على ماكّولي، ألا تعتقدين ذلك؟

فلورا : هل أنت قومي، سيد داس؟

داس : (بخفة) آه، هذا سؤال مهمٌّ! لكن ما كان ينبغي أن نتوقف كل ذلك الوقت. لقد تأخر الوقت بالنسبة لك، يجب أن أعمل بسرعة أكبر في الغد.

فلورا : لا تزال الساعة العاشرة والنصف.

داس : لا، إنه نيسان، وهذه ساعة متأخرة في نيسان.

فلورا : نعم، يبدو أن الجو أكثر حرارة من أي وقت مضى. هل ترغب بمزيد من الليمونادة؟

داس : لا، شكراً، لا ليمونادة. آنسة كرو، لم تنظري إلى لوحتي حتى الآن.

فلورا : لا. ليس بعد. لا أنظر في العادة. هل تمانع؟

داس : لا.

فلورا : يبدو أن ذلك لا يعجبك. لكني سألت رساماً مرة «هل لي أن أنظر؟» فقال، «لماذا؟ عندما أرسم طاولة ليس علي أن أريها لوحتي».

داس : قلت أنك رُسمتِ من قبل.

فلورا : مرة واحدة.

داس : بورتريه؟

فلورا : ليس بالطريقة التي تقصدها. كانت عارية.

داس : أوه.

فلورا : في العادة كان يرسم صديقاته بملابسهن. كان يستعمل الموديلات للوحات العارية. أعتقد أني كنت صديقته. لكن ربما لم أكن. ربما مجرد موديل. لا يهم. مات بعد ذلك بوقت قصير. (وقفة) لم يكن لطيفاً معي مثلك أنت.

داس : هل ما زالت اللوحة لديك؟

فلورا : لا.

داس : أين هي؟

فلورا : ليست في أي مكان. أحرقها رجل كنت أعتقد أني سأتزوجه. يا إلهي، يا له من يوم مشهود. هناك رجل على حصان.

(لقد سمعنا الحصان، لكننا لا نراه.)

ديورانس: (خارج المسرح) صباح الخير! آنسة كرو على ما أعتقد!

فلورا : (تقف) نعم - صباح الخير! (لداس) هل تعرفه؟

داس : إنه المساعد.

ديورانس: (خارج المسرح) هل لي أن أدخل قليلاً؟

فلورا : بالتأكيد. يا له من حيوان جميل! (لداس) مساعد ماذا؟

داس : (لفلورا) كابتن ديورانس!

ديورانس: شكراً!

فلورا : تعال، انضم إلينا.

(يصل ديورانس ماشياً.)

ديورانس: أوه - السيد داس، أليس كذلك؟

داس : صباح الخير يا سيدي. لكننا لم نلتق.

ديورانس: أوه، لكني أعرفك. والآنسة كرو، شهرتك سبقتك.

فلورا : شكراً ... وأنت ...

ديورانس: أنا من الحاكمية. ديفيد ديورانس.

فلورا : (تصافحه) فرصة سعيدة.

ديورانس: أوه، أنظروا هنا - أنا أقاطع الفنان.

فلورا : لقد توقفنا.

ديورانس: هل بإمكان المرء أن ينظر؟ أوه، هذا جيد! ألا تعتقدين ذلك، آنسة كرو؟

داس : يجب أن أذهب. لقد بقيت أكثر مما ينبغي اليوم.

فلورا : لكننا سنتابع غداً؟

داس : نعم، ربما في وقت مبكر أكثر، إذا كان ذلك يناسبك. يمكن أن أترك كل شيء ...

(يبدأ داس بإزاحة القماشة عن الحامل.)

فلورا : لماذا لا تترك القماشة كذلك؟ ستكون في مأمن.

داس : (يتردد) نعم، لا بأس ... لدي غطاء لها. شكراً.

(يغطي القماشة بقطعة قماشية أخرى على الحامل.)

فلورا : كما يغلق على الببغاء في الليل.

داس : لقد انتهيت. شكراً على الليمونادة، آنسة كرو. كانت ممتازة. أؤكد لك! وداعاً، سيدي - و - نعم - إلى الغد ...

(ينزل درجات الشرفة، يأخذ دراجته ويمضي.)

فلورا : نعم ... وداعاً! (لديورانس) سأنتعل حذائي. آسفة على أصابع قدمي، لكني أحب أن أحركها عندما أعمل.

ديورانس: سأبقى لحظة فحسب. طلب مني رئيسي أن أتفقدك. فقط للتأكد من أنه ليس هناك ما نفعله من أجلك.

فلورا : هل تحب أن تتناول شيئاً من الليمونادة؟

ديورانس: لا، لاشيء لي. فعلاً. كان يمكن أن نجد لك مكاناً أكثر راحة، ليس تماماً في وسط البلدة.

فلورا : كيف عرفتم أني هنا؟

ديورانس: الآن، هذه نقطة. في العادة نعرف بوصول الزوار لأن أول شيء يفعلوه هو أن يأتوا ويتركوا بطاقاتهم، أما في حالتك ... شائعات في السوق، إذا جاز التعبير. هل أنت معتادة على زيارة هذا المكان، آنسة كرو؟

فلورا : لا. لم أزر الهند من قبل. جئت من بومبي قبل بضعة أيام.

ديورانس: لكن لديك أصدقاء هنا، ربما؟

فلورا : لا. جئت على سفينة، ولم أكن أعرف أحداً. لدي أصدقاء في إنكلترا ممن لديهم أصدقاء هنا. في الواقع، صديق واحد.

ديورانس: وهذا الصديق، في جومابور؟

فلورا : لا - الصديق - في لندن، بالطبع؛ السيد جوشوا تشامبرلين. أصدقاؤه في أماكن مختلفة من راجبوتانا، وسأذهب كذلك إلى دلهي ومن ثم آمل بالذهاب إلى البنجاب.

ديــورانس: فهمت الآن. وصديقك في لندن لــه أصــدقاء فــي جومابور.

فلورا : نعم.

ديورانس: مثل السيد داس؟

فلورا : لا. هل أنت شرطي من نوع ما سيد ديورانس؟

ديورانس: أنا؟ لا. أنا آسف إذا كنت أعطيتك ذلك الانطباع.

فلورا : حسناً، إنك تعطيني مثل هذا الانطباع. لقد سافرت ومعي رسائل تعريف إلى عدد من النوادي الاجتماعية والجمعيات الأدبية. وأتحدث عادة حول «الحياة الأدبية في لندن»، وبالمقابل أحصل على مأكل ومسكن... وهكذا فلا أستطيع أن أقبل ضيافتك دون أن أؤذي مشاعر مضيفي.

ديورانس: اللعبة مختلفة هنا. بالإقامة في الحاكمية تكسبين الاحترام، لا تخسرينه.

فلورا : شكراً، لكن ماذا عن احترام النفس؟

ديورانس: حسناً ... ما دام كل شيء على ما يرام. إذاً فأنت تحذين حذو تشامبرلين. الآن يتضح كل شيء.

فلورا : لا أعتقد أنني أوضحت شيئاً. لكن نعم، أنا أحذو حذوه. تحدّث في جومابور قبل ثلاث سنوات، حول موضوع الإمبراطورية.

ديورانس: هل كنت تعرفين أنه شيوعي من نوع ما؟

فلورا : فكرت بأنه قد يكون. ترشّح مرتين للبرلمان كمرشح شيوعي.

ديورانس: (دون انزعاج، وبلطفه المعتاد) أنا أسلّيك أليس كذلك؟ ذلك جيد، فتسلية زوارنا المرموقين أحد واجباتي.

فلورا : حسناً، لا تتضايق.

ديورانس: كم من الوقت ستقضين معنا؟

فلورا : يتوقعونني في جايبور، لكنهم لا يكترثون متى أذهب.

ديورانس: أنا متأكد أنك ستقضين وقتاً رائعاً. هناك أشياء رائعة يمكن أن تشاهديها. في هذه الأثناء، اعتبري نفسك عضو شرف في النادي - اذكري اسمي فحسب، لكني سأضع اسمك في الدفتر.

فلورا : شكراً.

ديورانس: حسناً ...

(يمد يده فتصافحه.)

فلورا : زرني مرَّة أخرى، إذا شئت. أتمنى لو كان لدي قطعة سكر لحصانك. في المرة القادمة.

ديورانس: إنه ترفي الرئيسي. أتمنى لو أني كنت هنا أيام كان الحصان الجيد جزءاً من الوظيفة.

فلورا : نعم ... وما هو عملك؟ ذكرت رئيسك.

ديورانس: الحاكم المقيم. إنه يمثل الحكومة هنا.

فلورا : الحكومة البريطانية؟

ديورانس: دلهي. نائب الملك، في الواقع. جومابور ليست جزءاً من الهند البريطانية ... تفهمين ذلك؟

فلورا : نعم... لكن كل ذلك جزء من الإمبراطورية، أليس كذلك؟

ديورانس: أوه نعم. بكل تأكيد. لكن هناك نحو خمسمئة راجا ومهراجا ونابوب[1] يحكمون أجزاء منها، نصفها تقريباً، بموجب اتفاقيات. ونحن هنا للتأكد من أنهم لا يقومون بأعمال مؤذية.

فلورا: عرفت أنك شرطي نوعاً ما.

(يضحك ديورانس وينزل درجات الشرفة. يتردد بخجل.)

ديورانس: آنسة كرو، هل تريدين تناول العشاء معنا وأنت هنا؟

---

(١) حاكم إقليمي.

فلورا : تعني أنت وزوجتك؟

ديورانس: لا ... في النادي. نحن. معي. لست متزوجاً. لكن أرجو أن تأتي. نحن مجموعة متمدنة إلى حد ما، وهناك رقص ليالي السبت، هناك غراموفون لا غير، لكننا نستمتع بذلك.

فلورا : سآتي، السبت إذاً.

ديورانس: أوه ... عظيم! سآتي لأخذك.

فلورا : لكن ليس لدي حصان.

ديورانس: لدينا سيارة ديملر في الحاكمية. سأرى إذا كنت أستطيع استعارتها. سآتي في الساعة الثامنة تقريباً؟

فلورا : بالتأكيد.

ديورانس: لا ضرورة لأية ملابس خاصة في العادة، عدا الليالي الخاصة. (يضحك على نفسه) طبعاً.

فلورا : سأكون جاهزة.

ديورانس: رائع.

(يخرج ويمتطي الحصان الذي يصهل.)

فلورا : وداعاً!

ديورانس: (خارج المسرح) وداعاً!

فلورا : (منادية إلى الخارج) تدبَّر الديملر!

(تلوّح فلورا بيدها وتستدير جانباً. تجلس إلى طاولتها وتبدأ بالكتابة.

آنيش يرسم السيدة سوان.)

السيدة سوان: لكن جومابور لم تكن من الولايات الموضوعة مباشرة تحت الحكم البريطاني.

آنيش : نعم.

السيدة سوان: إذاً فلم نكن نحن الذين وضعنا أباك في السجن.

آنيش : (يحتج بأدب) آه حسناً ...

السيدة سوان: (بحزم) كائناً ما كان ما فعله أبوك، فإن الحاكم لم يكن بوسعه سجن هندي. راجا جومابور له سلطته القضائية المستقلة.

آنيش : آه، لكن سمو الراجا ...

السيدة سوان: أوه، أنا لا أقول بأننا ما كنا لنعاقبه ونطرده إذا نسي أي جهة تطعمه، لكن الحقائق تبقى حقائق. الراجا وضع أباك في الشوكي. كم من الوقت، بالمناسبة؟

آنيش : ستة أشهر.

السيدة سوان: أرأيت؟ لو كان في الهند البريطانية لكان حصل على سنة على الأقل. كان الأمر سيكون مختلفاً بعد

الحرب.عندما أصبح الاستقلال وراء الزاوية، أصبح الناس يتزاحمون للدخول إلى السجن. كانت تلك بطاقتهم إلى القمة. يؤدون نصيبهم من العصيان المدني، ثم يقفزون على عربة الحراسة مسرورين من أنفسهم. إريك - زوجي - كان يفرض عليهم غرامة صغيرة إذا اعتقد أنهم غير خطرين، وكانوا يغضبون. كان ذلك عندما كان إريك يحكم ولاية قرب نيبال ...

آنيش : نعم، صينية الشاي ...

السيدة سوان: أنت قلتها. عندما كنا في الهند، كنا نعلّق لوحات تمثل صيد الثعالب، والآن وأنا في شيبرتون لدي فيلة وعجلات صلاة معلقة بقضبان النوافذ، وصينية الشاي مصنوعة من النحاس النيبالي. يمكن للمرء أن يعلّق على الطبيعة الإنسانية، لكن تناول قطعة من كعكة باتنبيرغ بدلاً من ذلك.

آنيش : شكراً.

السيدة سوان: لقد أحضرتها خصيصاً. أراها دائماً ككعكة فنية إلى حد ما. من أي نوع هي تلك اللوحات التي ترسمها، التي تختلف عن لوحات أبيك؟ صف لي آخر لوحاتك. ما رأيك بالكعكة؟

آنيش : (يأكل) لذيذة. شكراً.

السيدة سوان: لا، أعني هل هي كالكعكة؟

آنيش : أوه. لا. كلّها... تشبه بعضها في الواقع. لا أستطيع وصفها.

السيدة سوان: لا توصف، إذاً.

(ينهي آنيش الرسمة ويعطيها لها.)

آنيش : تفضلي.

السيدة سوان: (بدهشة لكن بسرور) آه. هذه رسمة محترمة. يمكنك أن ترسم بورتريهات إذا أردت.

(تعيد البورتريه لآنيش)

آنيش : شكراً.

السيدة سوان: الآن، ماذا سنقول لإلدون عن أبيك؟

آنيش : إلدون؟

السيدة سوان: إلدون كوبر بايك. يدعوني إلينور وهكذا علي أن أدعوه إلدون، لكي لا أبدو متكبرة. أفترض أنه إذا بدأ بمناداتي نِل فعلي أن أناديه إل. إنه ينتظر حتى أموت لكي يتابع كتابة سيرة حياة فلورا التي يعتقد أني لا أعرف أنه يكتبها.

آنيش : (مشيراً إلى نسخته من الكتاب) أوه نعم. «تحرير إلدون كوبر بايك.»

السيدة سوان: ذلك يعني أنه يضع الحواشي.

آنيش : أوه، فهمت الآن.

السيدة سوان: هناك أكثر مما يجب من هذه الحواشي، بحيث تتم مقاطعتك بالقراءة باستمرار ليخبرك أحدهم شيئاً تعرفه أو لست بحاجة لمعرفته في تلك اللحظة. هناك صفحات بالكاد تستطيع فلورا أن تقول كلمة فيها. السيد بايك يدرّس فلورا كرو. ذلك يجعلها تبدو وكأنها مادة، أليس كذلك، مثل علم الأحياء. أو في حالتها، علم النبات. فلورا تدرَّس على نطاق واسع في أميركا. بعض النساء الشابات اللاتي يدرسنها يكتبن لي أحياناً، بل ويزرنني، وفي إحدى المرات اتصلت بي إحداهن هاتفياً. هن، على الأغلب، نساء شابات. ومن كل أنحاء العالم، كثيرات من أميركا. لقد أصبحت فلورا بطلة. وقد كانت دائماً كذلك بالنسبة لي. كنت في الثالثة فقط عندما ماتت أمي، وهكذا فقد كانت فلورا التي ... يا إلهي، سأحتاج إلى منديل.

آنيش : أوه - نعم! أنا آسف -

السيدة سوان: وجدته. (تتمخط) يغضبني أنها لم تعش لترى كل هذا، «القصائد المجموعة»، والآن «الرسائل»، واسمها

في كل مكان، والطلاب والأساتذة مهتمون بها ويمتدحون شِعرها. لم يكترث لها أحد عندما كانت حية إلاّ لجعلها تخلع ملابسها. كيف تجد الشاي؟

(يصل داس إلى بيت الضيافة ويضع دراجته قرب الشرفة. فلورا تعمل، وتكاد لا تلاحظه.)

آنيش : إنه لذيذ. سيدة سوان ... تقول هنا، «بورتريه فلورا كرو طُبع بإذن من السيدة إلينور سوان.» هل يعني هذا أن اللوحة لديك؟

السيدة سوان: نعم.

آنيش : هنا؟ في منزلك؟

السيدة سوان: هل تريد رؤيتها؟

آنيش : جداً! كنت أتوقع إلى حد ما أن أراها معلّقة في اللحظة التي وصلت.

السيدة سوان: ذاك لأنك رسام. تعال، سأريك إياها. نعم، لا أستطيع أن أجعل طعم الشاي هنا كما يجب أن يكون. أتوقع أن يكون السبب هو الماء. لا يمكن للماء المأخوذ من خزان قرب ستينز أن ينتج كوب شاي مقارنة بالماء الذي كنا نحصل عليه في الجبال. كان ينزل مباشرة من الهيمالايا.

(يغادران.

فلورا وداس يعملان.)

فلورا : (مسجلة)

« - أو فكّر إذا شئت بجثة في خندق

لقد تُركت من قبل ظناً أني ميتة -

يزحف الحر في شعري كالحشرات - »

أوه، هراء! هل لنا أن نتوقف للحظة. (تنهض فلورا.)

أنا ملتصقة بنفسي!

داس : بالتأكيد! أنا آسف!

فلورا : لا ينبغي أن تكون مسؤولاً عن المناخ كذلك، سيد داس.

داس : لا، أنا ...

فلورا : لا، أنا آسفة. أنا مزاجي معكّر. هل نشرب بعض الشاي؟ ولا أمانع أن آكل شيئاً كذلك. (تنادي إلى الخارج) نزرول!

(لداس) هناك فطائر لحم بط في الثلاجة ....

(يظهر نزرول من وراء زاوية الشرفة.)

أوه، نزرول ... شار و...

نزرول : (بالهندي) نعم يا سيدتي، سأجلب الشاي في الحال ...

فلورا : ... خبز... وفي صندوق الثلج، لا، لا تذهب، اسمعني -

داس : هل تسمحين لي؟

(داس ونزرول يتحدثان بالهندي. يطلب داس خبزاً وزبدة وفطائر البط من الثلاجة.)

فلورا : (خلال المحادثة) جرّة عليها صورة بطة ...

(إلاّ أن نزرول لديه اعترافات درامية ومأساوية سيبوح بها. اللصوص سرقوا الفطائر. داس يوبّخه بعنف. نزرول يغادر من حيث أتى.)

ما كل ذلك؟

داس : سيحضر الشاي، وخبز وزبدة وكعك. الفطائر سرقها اللصوص.

فلورا : ماذا؟!

داس : (بحزن) هكذا، على ما يبدو.

فلورا : إلاّ أن الثلاجة مقفلة - السيد كومارسوامي أشار إلى ذلك بشكل خاص.

داس : أين تحتفظين بالمفتاح؟

فلورا : نزرول يحتفظ به بالتأكيد.

داس : آه، حسناً ... الأمر كله غموض في غموض.

(تنفجر فلورا ضاحكة وينضم إليها داس.)

فلورا : لكن أليس ذلك ضد تعاليم دينه؟

داس : أوه، بالتأكيد. أعتقد أنه كذلك. أنا لا أقول إن نزرول سرق الفطائر، إلاّ أن السرقة ضد تعاليم دينه، دون شك.

فلورا : لم أعني السرقة، أعني لحم الخنزير.

داس : لكني أعتقد أنك قلت إنها بط.

فلورا : على المرء أن يقرأ الكلام المكتوب بالخط الصغير، سيد داس. «فطائر من لحم البط» بحروف كبيرة، «والخنزير» بحروف صغيرة. إنها ممارسة تجارية شائعة.

داس : نعم، أفهم ذلك.

فلورا : دعنا نأمل بأنه أخذ الجزء الذي يحتوي على لحم البط فقط ...

داس : تلك طبيعتك الحقيقية تتكلم، آنسة كرو!

فلورا : ... رغم أنهم إذا استعملوا خنزيراً مع كل بطة، فسيكون محظوظاً إذا حصل على أي بط على الإطلاق.

داس : لن يعرف أحد الحقيقة إلاّ الله، وهو رحيم.

فلورا : نعم. أي إله تعنين؟

داس : إلهك إذا شئت، لا مانع عندي.

فلورا : الآن، سيد داس، هناك شيء يسمى المبالغة في الأدب. إلهك كان هنا أولاً.

داس : أوه، لكن نحن الهندوس بإمكاننا أن نكون كرماء؛ لدينا من الآلهة أكثر مما نحتاج، واحد لكل مناسبة. وقال كريشنا «إذا عبد الإنسان أي إله، فإنني أنا الذي أستجيب لصلاته.»

فلورا : لم أكن متأكدة مما إذا كان كريشنا إله أم شخص.

داس : أوه، لقد كان إلهاً بالتأكيد، أحد التقمصات العشرة لفيشنو، وأحد الموضوعات المفضلة بالنسبة للرسامين الراجستانيين. أقام علاقة عاطفية مع امرأة متزوجة، رادا، التي كانت أجمل النساء الراعيات. وقعت رادا في غرام كريشنا وكانت تهرب من زوجها في كثير من الأحيان لتلتقيه سراً.

فلورا : أعتقد أن هذا ما حيرني. تعال واجلس، سيد داس.

داس : سآتي ... لكني سأبدأ برسم الشجرة ونحن ننتظر.

فلورا : ضع قرداً عليها.

داس : نعم. مثل هانومان، هو المفضل لدي في الرامايانا.[1] الإله القرد.

فلورا : أراني السيد كومارسوامي المعابد.

داس : هل وجدتها جميلة؟

فلورا : أحببت بعض المنحوتات، الطريقة التي تبتسم بها النساء لأنفسهن. نعم، فكّرت بأن ذلك يقول شيئاً.

داس : حول النساء الهنديات؟

فلورا : لا، حول النحاتين الهنود. صدور كالبطيخ، وأوراك يمكن للأطفال أن يجلسوا عليها. لا شك أنك تعتقد أني غير محظوظة بتقاطيع جسمي.

داس : لا. زوجتي كانت نحيلة.

فلورا : أوه ...

(يدخل نزرول حاملاً صينية الشاي.)

فلورا : شكراً نزرول ... ونوعين من الكعك!

(يجيب نزرول بابتسامة ويخرج.)

داس : لكن وجهك اليوم ... أعتقد أن عملك كان مزعجاً.

فلورا : نعم.

---

(١) إحدى أعظم الملاحم الهندية وتنسب إلى الحكيم الهندي فالميكي.

داس : هل القافية هي الصعبة؟

فلورا : لا.

داس : الوزن؟

فلورا : لا. العاطفة لا تنسجم. لا أعتقد أني أجيد الحديث عن أعمالي.

داس : أنا آسف.

فلورا : لذلك لا أذهب باستمرار إلى جانبك من الحامل. إذا لم أنظر فلن يكون هناك شيء أقوله. أعتقد أن ذلك أفضل.

داس : نعم. من الأفضل الانتظار. ليس في لوحتي راسا اليوم.

فلورا : وما هي الراسا؟

داس : راسا هي عصيرها. ذوقها. جوهرها. يجب أن يكون لكل لوحة راسا ... التي لا تكون في اللوحة بالضبط. الراسا هي ما تحسّينه عندما ترين لوحة، أو تستمعين إلى الموسيقى؛ إنها العاطفة التي يجب أن يبعثها فيك الفنان.

فلورا : والشعر؟ هل للقصيدة راسا؟

داس : أوه نعم! الشعر جملة روحها راسا. هذه نظرية مشهورة عند فيشفاناتا، مدرّس الشعر العظيم، قبل ستمئة عام.

فلورا : راسا ... نعم. ليس لقصيدتي راسا.

داس : أو ربما فيها نوعين متناقضين من الرسا.

فلورا : أوه ...

داس : هناك تسع أشكال من الراسا، لكل منها لون مختلف. أو يجب أن أقول مزاج. لكن لكل مزاج لونه - أبيض للضحك والفرح، أحمر للغضب، أصفر فاتح للهدوء ...

فلورا : (مفسرة) أوه ... هل هناك ما يقابل اللون الرمادي؟

داس : الرمادي للحزن.

فلورا : الحزن؟ نعم.

داس : ولكل منها اسم وإله كذلك.

فلورا : وبعضها لا ينسجم مع بعضها الآخر، هل هذا ما يحصل؟

داس : نعم. هذا ما يحصل. بعضها ينسجم وبعضها لا. إذا أثرت عواطف متناقضة مع بعضها فلن تنسجم الراسا، كما قلت.

فلورا : نعم.

داس : قصيدتك عن الحر.

فلورا : نعم.

داس : إلاّ أن الراسا فيها ... غضب ربما؟

فلورا : جنس.

داس : (دون تردد) راسا الحب الشهواني تسمى شرينغارا. إلهها فيشنو، ولونها شياما، وهو أزرق مائل للسواد. يخبرنا فيشفاناتا في كتابه عن الشعر: تتطلب شرينغارا، طبيعياً، حبيباً وحبيبته. يمكن أن تكون محظيته إذا كانت مولعة به حقاً، ويثيرها مثلاً، القمر، رائحة خشب الصندل، أو وجودها في بيت فارغ. تتسجم شرينغارا مع كل أشكال الراسا الأخرى والعواطف المصاحبة لها، عدا الخوف، والقسوة، والاشمئزاز والكسل.

فلورا : فهمت. شكراً. البيت الفارغ جيد جداً. سيد داس، كنت تتحدث كشخص آخر. نفسك، على ما أعتقد. كنت أعرف أنك تستطيع ذلك. الشخص الآخر ذكّرني بالدكتور عزيزفي رواية فورستر. هل قرأتها؟ كنت أشعر باستمرار أني أريد أن أركله.

داس : (شاعراً بالإهانة) أوه ...

فلورا : لأنه لم يقدّر نفسه حق قدرها.

داس : إذاً فربما لم تقرئي الرواية حتى نهايتها.

فلورا : نعم، ربما. هل يتحسن؟

داس : إنه يتحوّل.

فلورا : ما رأيك بـــ «معبر إلى الهند»؟

داس : هل هذا هو السؤال الحرج الذي أردت أن تسأليني إياه؟

فلورا : (تضحك بفرح) أوه، سيد داس!

(يدخل بايك، يلبس ألبسة مناسبة للهند. ينزل في أفضل فندق في جومابور، ويبدو عليه ذلك. يحمل حقيبة كتف أنيقة. يحدّق بما حوله بشكل يوحي بالخيبة.

أصوات شوارع حديثة، الواضح أنها في الهند، تصاحب دخول بايك.

فلورا تجلس إلى طاولتها، تكتب، داس يعمل على لوحته.)

فلورا : (تكتب) «جومابور، السبت، الخامس من نيسان. عزيزتي نِل. هناك رسام يرسم بورتريه لي. أعني أنه يرسمها الآن وأنا أكتب، وهكذا فإذا رأيت لي صورة في فستاني الأزرق ستعرفين أني كنت أكتب هذه الرسالة. هو يعتقد أني أكتب قصيدة. متخذة جلسة الشاعرة، كما وصفني العدو في جريدته العفنة.»

بايك : «العدو» كان جي. سي. سكوايار (١٨٨٤-١٩٥٨)، شاعر، ناقد، محرر أدبي لمجلة «نيو ستيتسمان» ورئيس تحرير «لندن ميركوري». اشتكت افتتاحية لم توضح اسم كاتبها (نيسان ١٩٢٠) من ازدياد عدد أولئك الفتيات المستشعرات اللاتي يجب أن يتوقفن عن اتخاذ مواقع الشعراء ويقتصرن على احتلال مواقع محطات القطارت». أقامت الشاعرتان أليزابيث بادينغتون (١٩٠١-١٩٨٠) وميريديث إيوستن (١٨٩٩- ١٩٢٩)، دعوتين عليه وتمت تسوية الدعوتين خارج المحكمة. ف. ك. سكبت كأس بيرة على رأس سكوايار في حانة فيتزروي في كانون الثاني ١٩٢١.

ديليب : دكتور بايك ...

بايك : إلدون، لو سمحت.

ديليب : ... هل تحب أن تشرب كولا، إلدون؟

بايك : أوه، شكراً. أي نوع من ...

(تستثار شكوكه.)

«كولا ثَمبس أب»؟ أتعرفين، أعتقد أن الأفضل ألاّ أشرب.

ديليب : (يسيء فهمه) لدي اثنتان - فعلاً - شربت زجاجتي عندما كنت أتحدث إلى البائع. إنها كما توقعت. كان الداك بنغالو هنا تماماً، في هذه الباحة. بالتأكيد لم تكن هذه الشقق موجودة. لا أعتقد أن أي شيء تراه يعود إلى ما قبل الحرب.

بايك : لا ... خسارة.

ديليب : عدا الشجرة، ربما.

بايك :(مشرقاً) أوه، نعم. الشجرة. هذا صحيح. إنها تذكر شجرة.

ديليب : الرجل العجوز يذكر البنغالو جيداً. لقد دُمّر. ضحية التقسيم.

بايك : مُزّق.

ديليب : أحرق، خلال الاضطرابات. قتل كثير من الناس هنا عام ٤٧.

بايك : التقسيم. أوه، نعم ... فظيع ... هل يمكن أن تكون هذه هي الشجرة نفسها؟

ديليب : تبدو قديمة.

بايك : هل لك أن تصورني؟ ... في هذا المكان.

ديليب : نعم، بالتأكيد.

(يأخذ بايك كاميرا من حقيبته ويعطيها لديليب)

بايك : إنها تركّز عدستها آلياً ... فقط اضغط الـــ ... (يقف أمام الكاميرا) يمكن أن أضع إعلاناً ... في الجريدة. قد يتذكر أحد فناناً ... ارجع قليلاً إلى الوراء ... دع مزيداً من الـــ ... يظهر.

ديليب : لا، الـــ ٣٥ جيد. هل تمانع إذا ألغيت التصوير الآلي؟ ... لكي أوضح الخلفية ... ف ٨ ...

بايك : أوه ... بالتأكيد.

ديليب : نعم، لم لا؟ - ضع إعلاناً في الجريدة. جاهز؟ (يأخذ الصورة.)

بايك : شكراً. سآخذ لك صورة.

ديليب : حسناً. (يعدّل الكاميرا) على ٥٠. دع ديليب يظهر أكثر.

(يتبادلان المواقع، بايك يأخذ الكاميرا.)

في المحصلة ... ست وخمسون سنة ... قد يكون لا يزال حياً ... سيكون فحسب في ...

بايك : التسعين.

ديليب : نعم، قد لا يكون. هل هذا جيد؟

بايك : الشيء الآخر هو ... ماذا أفعل؟

ديليب : وجهها فحسب.

بايك : الشيء الآخر ديليب ... جاهز؟ (يلتقط الصورة.)

ديليب : شكراً.

بايك : الشيء الآخر هو، كان هناك لوحة مائية. لوحة ضائعة. هكذا أقرأ الموضوع أنا. ألا تعتقد؟

ديليب : (يضحك) أوه نعم، أعتقد أنك تقرأ الموضوع هكذا، إلدون، لكنها كانت شاعرة ... وأنت كاتب سيرة! اللوحة الضائعة هي البطاقة التي تحتاجها.

بايك : ماذا عن تقديم مكافأة؟

ديليب : مكافأة؟

بايك : من أجل معلومات تقود إلى. إذا كتبت الجريدة المحلية خبراً عنها ... أنا متأكد أن ذلك سيؤدي إلى نتائج.

ديليب : دون شك. سيمتلئ فندق قصر جومابور بالعامة يلوحون بلوحات مائية أصلية لنساء إنكليزيات في كل مرحلة من مراحل خلع ثيابهن. لكن فكرة الجريدة جيدة، إذا كانت الملفات تعود إلى ١٩٣٠ ... يجب أن يعلن راسم البورتريهات.

بايك : هذا جيد، ديليب! - سآخذ لقطة من الأعلى، مع الشجرة ... هل تعتقد أن بإمكان المرء الصعود إلى السطح؟

ديليب : أكيد. دعني أذهب وأرى.

(يغادر ديليب.)

فلورا : «عزيزتي، يجب ألاّ تتوقعي أن أكون استخباراتك الخارجية. واضح أنك تعرفين عن ’مسيرة الملح‘ أكثر مني.»

بايك : مسيرة غاندي إلى البحر للاحتجاج على ضريبة الملح بدأت في أحمد أباد في الثاني عشر من آذار. وصل إلى البحر يوم كتابة هذه الرسالة.

فلورا : «لم يذكرها لي أحد. إذا تذكرت فسأسأل في النادي اليوم - تلقيت زيارة من شاب إنكليزي نظيف ودعاني إلى العشاء. في الواقع كانت فكرة عرضية. أعتقد أني ارتكبت خطأ بأني لم أعلن عن قدومي للحاكم، وقد أرسل ذلك الشاب على حصان ليتفحصني. أعتقد أنه شطب اسمي لكنه كان لطيفاً جداً ولذلك فمن الصعب أن أعرف. لدي شعور بأنه سيكون عليّ التوقف بعد لحظات. الفنان الذي يرسمني يعبس باتجاهي ثم باتجاه اللوحة وكأن واحدة منا تسيء السلوك. إنه لطيف ومتحمس ويذكّرني بتشارلي شابلن، ليس الأبله الذي يظهر في الأفلام، بل الحقيقي الذي كان في حفلة غداء السير هربرت.»

بايك : إنه السير هربرت بيربوم تري الذي قدم لـــ ف. ك عملها الأول، بعد وصول عائلة كرو إلى لندن من داربيشاير، كممثلة إضافية في إنتاجه الأصلي لـــ «بغماليون»، وبعد اعتراضات من السيدة باتريك كامبل، عملت بشكل دائم «في المكتب». كانت هذه العلاقة هي التي جلبت ف. ك. إلى حلقة ابنة تري آيرس وصديقتها نانسي كونارد، ومن ثم عائلة سيتويل، ويمكن المجادلة بأن هذا ما جعلها تبدأ كتابة الشعر.

فلورا : «قصيدتي، القصيدة التي لا أكتبها، هي حول الجلوس والشعور بالحر. لقد هزمها موضوعها، ويجب أن أذهب إلى الجبال، أنتظر الفنان الذي يرسمني حتى ينتهي. يقولون لي إن الطقس الحار سيبدأ قريباً، لكنني لا أستطيع أن أتخيل أي شيء أكثر حرارة من هذا، وهذا سيتبعه فصل الأمطار، رغم أني أحس من الآن وكأني أجلس في بركة. لا أعتقد أن هذا ما قصده الدكتور غابي بالجو الدافئ.»

بايك : الدكتور ألفرد غابي كان طبيب عائلة كرو منذ انتقلوا من داربيشاير إلى لندن عام ١٩١٣. ملاحظاته عن مرض ف. ك.، بالإشارة إلى الاحتقان الرئوي، تعود إلى ١٩٢٦.

فلورا : أوه، اسكت!

(يبدو وكأنها ترد على بايك. في الوقت نفسه، داس يفقد أعصابه ويصيح بالهندي، «ابتعد! ابتعد!» إلاّ أن كلاهما يصيحان على كلبين سُمعا ينبحان وهما يتعاركان الآن تحت الشرفة. في وسط هذا، ينادي ديليب على إلدون. تختفي الضجة. بايك يلحق بديليب. يبتعد الكلبان وهما يعويان.

داس : أوه - هراء!

فلورا : أنا آسفة - هل أنا السبب؟

داس : لا - كيف يمكن أن تكوني؟

فلورا : هل اقتراحي سخيف؟

داس : لا ... عذراً! يا إلهي، آنسة كرو! أمس كنت أحس بـــ ... التواصل واليوم -

فلورا : أوه! ... إنها غلطتي! بالأمس كنت أكتب قصيدة واليوم أكتب رسالة إلى شقيقتي. هذا هو السبب.

داس : رسالة؟

فلورا : أنا لست المرأة نفسها، يا لي من حمقاء.

داس : نعم. نعم.

فلورا : هل أنت غاضب؟

داس : لا أعرف. هل يمكن أن نتوقف الآن؟ أريد أن أدخن سيجارة. هل تريدين أن تدخني؟ إنها سجائر غولدفليك.

فلورا : لا. لكن أحبك أن تدخن.

داس : كنت تكتبين لأختك؟ هي في إنكلترا، بالتأكيد.

فلورا : نعم، في لندن. اسمها إلينور. إنها أصغر مني بكثير.

داس : وجميلة مثلك؟

فلورا : اللباقة الروتينية مخيبة للأمل عندما تصدر عنك.

داس : (متفاجئاً) أوه، لم تكن مجرد لباقة.

فلورا : شكراً إذاً.

داس : أين تعيش أختك؟

فلورا : هذا تقريباً أول شيء تسألني إياه. هل سيعني ذلك لك شيئاً؟

(يلين داس من جديد، ويعود إلى طبيعته اللطيفة.)

داس : أوه، لندن بكاملها مفروشة في خيالي. تحديني وسترين!

فلورا : حسناً، إنها تعيش في هولبورن.

داس : (وقفة). أي جزء من لندن هو ذاك؟

فلورا : حسناً، إنها بين شارع غريز إن و -

داس : هولبورن!

فلورا : نعم. هولبورن.

داس : لكن بالطبع أعرف هولبورن! تشارلز ديكنز عاش في شارع دوتي.

فلورا : نعم. إلينور تعيش في شارع دوتي.

داس : لكن، آنسة كرو، «أوليفر تويست» كُتبت في ذلك الشارع!

فلورا : حسناً، إلينور تعيش هناك، فوق مكان عملها. إنها مساعدة رئيس تحرير مجلة أسبوعية، «الراية».

داس : «الراية؟»

فلورا : لا تقل إنك قرأتها كذلك.

داس : لا، لكني قابلت رئيس تحرير «الراية» -

فلورا : (مدركة) نعم - بالتأكيد قابلته! هكذا أتيت أنا إلى هنا. أعطاني السيد تشامبرلين رسائل تعريف.

داس : تسببت محاضرته في جومابور في إغلاق الجمعية الثيوصوفية لمدة عام.

فلورا : أنا آسفة. لكن ليس علي أن أعتذر نيابة عن الراج.

داس : أوه، لم يكن الراج بل الراجا! سموّه ليس اشتراكياً! هل تتفقين مع نظرية السيد تشامبرلين عن الإمبراطورية؟ لم أقتنع. أنا لست اقتصادياً بأية حال.

فلورا : ذلك لم يعق السيد تشامبرلين.

داس : لا أعتقد بأن إنكلترا قامت بمغامرتها الإمبريالية ببساطة لتمنع ثورة داخلها.

فلورا : أحاول أن أبقي ذهني منفتحاً. النظريات السياسية هي في الغالب، وربما بشكل كامل، نتاج الطبع. إلينور والسيد تشامبرلين يناسبان بعضهما.

داس : أختك تشاطر السيد تشامبرلين آراءه؟

فلورا : بالتأكيد.

داس : تقصدين كونها مساعدته.

فلورا : خليلته.

داس : أوه.

فلورا : كان ينبغي أن تكون محامياً، سيد داس.

داس : أستحق هذا التوبيخ!

فلورا : لم يكن ذلك توبيخاً. أو على الأقل لم يكن مقصوداً.

داس : أنا آسف فيما يتعلق بأختك. لا شك أن ذلك يحزنك.

فلورا : أنا سعيدة جداً من أجلها.

داس : لكنها لن تتزوج أبداً! ما لم يتزوجها السيد تشامبرلين.

فلورا : إنه متزوج، وإلاّ لربما كان تزوجها.

داس : يا إلهي. إلى أي حد تختلف الأمور. هنا، مثلاً ، كانت أختك ستُنبذ - لإلحاقها العار ببيت أبيها.

(فلورا تشخر)

نعم - ربما لسنا مستنيرين مثلكم.

فلورا : نعم، ربما. لقد دخنت سيجارتك. هل سنتابع؟

داس : لا، ليس اليوم.

فلورا : سأعود إلى قصيدتي.

داس : لا حاجة لذلك.

فلورا : حسناً، سأنسخ قصيدتي لأختي. أفعل ذلك للذكرى. سأرسل لها الرسم الذي أنجزته لي في المحاضرة.

داس : (وقفة) لديَّ موعد كنت قد نسيته.

فلورا : أوه.

داس : في الواقع ليس عليك أن تشعري بأن عليك ...

(يبدأ بجمع عدّته، بسرعة على ما يظهر.)

فلورا : ماذا فعلت؟

داس : فعلت؟ ماذا كان يمكن أن تفعلي؟

فلورا : توقف عن ذلك. أرجوك. لا تكن هندياً طوال الوقت.

داس : وأنت لا تكوني إنكليزية!

(وقفة.) لقد نظرت إلى البورتريه، آنسة كرو؟

فلورا : أوه، أرى الآن، نعم، نعم ... نظرت.

داس : نعم.

فلورا : لقد ألقيت نظرة. لِمَ لا؟ أنت أردتني أن أنظر.

داس : نعم، لم لا؟ رأيت اللوحة وقررت أن تقضي وقتك تكتبين الرسائل. لِمَ لا؟

فلورا : أنا آسفة.

داس : ولم تقولي شيئاً عن اللوحة.

فلورا : أعرف.

داس : لا أستطيع أن أكمل اليوم.

فلورا : أفهم. سنحاول مرة أخرى في الغد؟

داس : غداً الأحد.

فلورا : بعد غد.

داس : قد لا أستطيع أن أكمل بالمرة.

فلورا : أوه. وكل ذلك لأني لم أقل شيئاً. هل أنت تحت رحمة كل نسمة تهب؟ هل أنت فنان على الإطلاق؟

داس : قد لا أكون! مجرد رسام اسكتشات - رسام مبتذل يعمل في السوق!

(يخطف الاسكتش المرسوم بقلم الرصاص من تحت يد فلورا.)

فلورا : (مدركة نيته) توقف عن ذلك!

(يمزق داس الورقة إلى نصفين.)

داس : أو يرسم بالحوّار على الغات![١]

فلورا : توقّف!

(إلاّ أن داس يمزق الورقة حتى تتحول إلى قطع صغيرة.)

أحس بالخجل من تصرفك هذا!

داس : أعذريني، لو سمحت! أريد أن أذهب. سآخذ قماشة اللوحة -

فلورا : لا، لن تأخذها!

(يتحول المشهد إلى نزاع جسدي. تبدأ باللهاث.)

---

(١) الغات هو درج ينزل بوساطته إلى النهر في الهند.

داس : لا حاجة بك لأن تريها مرة أخرى!

فلورا : لن تأخذ شيئاً! سنتابع!

داس : لا أريد أن أتابع، آنسة كرو. أرجوك اتركيها!

فلورا : لن أدعك تستسلم!

داس : اتركيها، عليك اللعنة، سيرانا أحدهم!

فلورا : - وتوقف عن البكاء! أنت لست طفلاً!

داس : (متصارعاً معها) سأبكي إذا أردت!

فلورا : ابك إذاً، لكنك ستكمل ما بدأته! كيف إذاً يمكن أن ... أوه!

(وفجأة تنهار فلورا وتلهث لتلتقط أنفاسها.)

داس : أوه ... أوه، آنسة كرو - يا إلهي - دعيني أساعدك. أنا آسف. أرجوك. هنا، اجلسي -

(تهاجمها نوبة من عسر التنفس. يساعدها لتجلس على الكرسي. فلورا تتكلم بصعوبة.)

فلورا : فعلاً، أنا على ما يرام.

(وقفة. تتنفس بحذر.) أنا الآن على ما يرام.

داس : ماذا حدث؟

فلورا : لا يُسمح لي بمصارعة الناس. هذا مزعج. رئتاي سيئتان، كما ترى.

داس : دعيني أحرك الوسادة.

فلورا : أنا على ما يرام الآن. زال الخطر. أنا هنا من أجل صحتي. ليس هنا ... سأمكث مدة أطول على الجبال.

داس : نعم. سيكون ذلك أفضل. يجب أن تذهبي إلى المرتفعات.

فلورا : نعم. بعد يوم أو يومين.

داس : ما مشكلتك؟

فلورا : أوه، بعض اللخبطة في الداخل. لا أستطيع أن أتنفس تحت الماء. أنا آسفة أنني أخفتك.

داس : لقد أخفتني. هل تسمحين لي بالبقاء بعض الوقت؟

فلورا : أريدك أن تبقى. لقد تبللت بعرقي.

داس : يجب أن تبدلي ثيابك.

فلورا : نعم. سأدخل إلى الداخل. أحس بالقشعريرة. ارفعني قليلاً. شكراً. آخ. يجب أن يُفرك جسمي كما يُفرك جسم الحصان.

داس : ربما بعض الشاي ... سأذهب إلى المطبخ وأخبر -

فلورا : نعم، أرجوك. سأستحم وألتف بمنشفتي الكبيرة التي على شرفة المطبخ - هل لك أن تطلب من نزرول أن يضعها في غرفة النوم؟

(داس يركض باتجاه شرفة المطبخ، يصيح على نزرول. فلورا تدخل إلى غرفة النوم، خالعة ملابسها وهي تدخل، تاركة الفستان الأزرق يسقط على الأرض، وتدخل إلى الحمّام بلباسها الداخلي.

(يعود داس، مسرعاً، حاملاً المنشفة. يدخل بحذر، منادياً، «آنسة كرو ...» يدخل غرفة النوم ويجدها فارغة. يسمع من الحمّام صوت أنابيب الماء تصدر ضجة، لكن لا يسمع صوت الماء.)

فلورا : (خارج المسرح) أوه، اللعنة، هيّا!

داس : آنسة كرو ...

ضجيج أنابيب الماء يستمر.

يقترب داس من باب الحمام.)

داس : (بصوت أعلى) آنسة كرو! أنا آسف، ليس هناك -

فلورا : (تصرخ خارج المسرح) ليس هناك ماء!

(يستمر ضجيج الأنابيب.)

داس : آنسة كرو! أنا آسف، الكهرباء -

(فجأة يتوقف ضجيج الأنابيب.)

(في منتصف الصرخة) المضخة الكهربائية -

فلورا : (تدخل عارية) علي أن أستلقي.

داس : أوه! (يدفع المنشفة باتجاهها) أوه، أنا أسف!

(متخلصاً من المنشفة، يتجمد داس رعباً.)

فلورا : أنا آسفة، سيد داس، لكني فعلاً لا أشعر أني على ما يرام الآن.

داس : (مستديراً ليغادر بسرعة) أرجوك اسمحي لي!

فلورا : لا، أرجوك، هناك بعض الماء في الجرة التي على المغسلة.

(تقف مرتجفة، ومتمسكة بالمنشفة على صدرها.)

اسرع.

داس : (محضراً الماء) إنها الكهرباء التي تشغّل المضخة.

فلورا : هل هناك بعض الماء؟

داس : نعم، إنها مليئة بالماء ... خذي -

(يعطيها الجرة ويستدير.)

فلورا : شكراً. لا، صب الماء أنت. فوق رأسي وظهري، أرجوك.

(داس يصب الماء عليها، بحذر.)

أوه، يا للسماء ... أوه، شكراً ... أنا آسفة لهذا. أوه، هذا جيد. صب قليلاً من الماء على المنشفة.

داس : هاك ...

(تمسح وجهها بطرف المنشفة ...)

فلورا : أحس أني أضعف من قطة صغيرة.

داس : أخشى أن يكون هذا كل ما لدينا من ماء.

فلورا : شكراً.

(تلف المنشفة حول نفسها.) هل لك أن تضع الناموسية لي؟

داس يرفع طرف الناموسية وتصعد فلورا إلى السرير.)

سأكون على ما يرام الآن.

داس : (يسيء فهمها؛ يستدير ليغادر) نعم، بالتأكيد.

فلورا : سيد داس، أعتقد أن هناك ماء صودا في الثلاجة. هل يمكن ...؟

داس : أوه نعم. لكنها مقفلة؟ لا أستطيع أن أجد نزرول.

فلورا : أوه ... أشعر بالحر من جديد. وليس هناك كهرباء للمروحة. لم تعد هناك ضرورة للاحتشام. (تزيح المنشفة وتتمدد تحت الأغطية.) على أية حال فأنا موديلك.

داس : سأحضر بعض ماء الصودا من الدكان.

فلورا : ذاك ما كنت أنوي أن أطلبه منك.

داس : متى؟

فلورا : السؤال الحساس ... إذا كنت تفضّل أن ترسمني عارية.

داس : أوه.

فلورا : أنا كنت أفضل ذلك. كان ذلك يعطيني ماذا تسميه.

داس : راسا.

فلورا : (تضحك بهدوء) نعم، راسا.

(داس يغادر غرفة النوم ويذهب إلى الشرفة حيث حجرة الخدم ويختفي وراء الزاوية.

(السيدة سوان، يصحبها آنيش، تفتح خزانة.)

السيدة سوان: أفضل مكان!

آنيش : هنا؟

السيدة سوان: نعم، قد يبدو ذلك غير لطيف بحق فلورا لكنها لم تكن تكترث بأن تُعرض.

آنيش : لا بأس.

تعود السيدة سوان حاملة بورتريه فلورا التي رسمها داس. قماشة اللوحة داخل أنبوب من الكرتون.)

السيدة سوان: هكذا عادت من عند الناشر. أنا أمزّق الأشياء. أنت امسك بها وأنا سأسحب الأنبوب.

آنيش : شكراً.

السيدة سوان: حسناً، ها هي.

آنيش : أوه ...!

السيدة سوان: نعم، جميلة أليس كذلك؟

آنيش : أوه ... إنها نابضة بالحياة.

السيدة سوان: نابضة بالحياة. نعم ... أوه، لن تبدأ بالانتحاب الآن؟

آنيش : (يبكي) أنا آسف.

السيدة سوان: لا عليك. بإمكانك استعارة منديلي ...

(يأخذ منديلها.)

آنيش: أرجوك اعذريني ...

السيدة سوان: هذا يثبت لك، أنك بحاجة لتطوير رؤيتك الفنية، وأن أبوك كان في المحصلة، كما أنت، فناناً هندياً.

آنيش : أنا آسف أنني ... تعرفين.

السيدة سوان: لا، لم يكن مفترضاً بي أن أكون قاسية. أنا آسفة. دعني أرى. (تأخذ اللوحة من آنيش وتنظر إليها.) نعم، أغلفة الكتب وعلب البسكويت لا بأس بها، لكن هناك شيء ما يبقى في اللوحة.

آنيش : نعم. وغير منتهٍ.

السيدة سوان: غير منته؟

آنيش : لم يكن ذلك واضحاً من الكتاب، بسبب الطريقة التي قصّوا فيها الصورة. ترين حيث يشير أبي إلى الشجرة فحسب، والقرد ... كان سيكمل الخلفية عندما يعتبر الشكل منتهياً. صدقيني. كنت أتساءل لماذا لم يوقّعها. الآن أعرف. أبي تخلى عن هذه اللوحة.

السيدة سوان: لماذا؟

آنيش : بدأ لوحة أخرى.

السيدة سوان: كيف تعرف، سيد داس؟

آنيش : لأن اللوحة معي.

(يفتح حقيبته ويسحب اللوحة التي لا تزيد مساحتها عن مساحة صفحة كتاب، محمية بألواح صلبة. يريها اللوحة الموصوفة في النص.)

السيدة سوان: يا للسماء! أوه ... نعم ... طبعاً. كم تشبه فلورا.

آنيش : أكثر من شبه، سيدة سوان.

السيدة سوان: لا ... أعني ما أشد شبهها بفلورا!

(تتابع النظر إلى اللوحة.)

يعود نزرول إلى الداك بنغالو، مع ما ابتاعه، مرتدياً ملابس رثة، ويختفي باتجاه المطبخ. يبدأ داس بالصراخ عليه ويُسمع نزرول محتجاً.

يعود داس للظهور ومعه زجاجة ماء صودا. يتكلم أولاً من خارج غرفة النوم.)

داس : لقد عاد نزرول، لحسن الحظ. تمكنت من فتح الثلاجة. أحضرت ماء الصودا.

فلورا : شكراً، سيد داس!

(يدخل داس إلى غرفة النوم.)

داس : (يقترب من السرير) هل تريديني أن أسكب لك الماء؟ (على الطاولة الصغيرة قرب السرير، خارج الناموسية، هناك كأس عليه غطاء مطرز بالخرز. داس يسكب الماء.)

يقول نزرول إنه تأخر في الدكان بسبب الاضطرابات. طاردت الشرطة الناس بالعصي، كان يمكن أن يُقتل بسهولة، لكن ببطولته التي استوحاها من وفائه لسيدته تمكن من العودة بعد ساعة من التأخر مع كل الطعام الذي أعطيته المال لشرائه عدا دجاجتين اختُطفتا من بين يديه.

فلورا : يا ساتر ... آمل أن تكون شكرته.

داس : ضربته بالتأكيد. يجب أن تفرضي عليه غرامة للتعويض عن الدجاجات.

ترفع فلورا الناموسية قليلاً بما يكفي لأخذ الكأس من داس، الذي يبتعد أبعد مما ينبغي.)

فلورا : (تشرب) أوه، هذا لذيذ. إنها باردة. ربما كان هناك اضطرابات بالفعل.

داس : أو، نعم. محتمل جداً. لقد أرسلت نزرول ليحضر المرأة الغسّالة - يجب أن تغيّري شراشف السرير. سيحضر نزرول ماء لكن لا تشربيه.

فلورا : شكراً.

(تبدأ البونكا بالتحرك ببطء وبحركة منتظمة.)

داس : أنا متأكد من أن الكهرباء ستعود قريباً وستعمل المروحة.

فلورا : ما ذاك؟ أوه، البونكا!

لقد وجدت صبياً لكي يكون بونكا والا.

فلورا : نعم، إنها تبعث نسمة. شكراً. صبي صغير؟

داس : لا تقلقي عليه. أخبرته أن الممصاحب مريضة.

فلورا : الممصاحب، يا ساتر.

داس : نعم، أنت ممصاحب. هل أنت على ما يرام الآن، آنسة كرو؟

فلورا : أوه، نعم. أنا الآن أتظاهر فحسب.

داس : هل لي أن أعود فيما بعد للتأكد؟

فلورا : هل ستذهب الآن؟ نعم، لقد جعلتك تتأخر.

داس : لا، أبداً، لا أحد ينتظرني. لكن الخادم سيعود و... ونحن الهنود مولعون بالقيل والقال.

فلورا : أوه.

داس : أقول ذلك من أجلك وليس من أجلي.

فلورا : لا أصدقك، سيد داس، ليس تماماً.

داس : إذا أردت الحقيقة فهذه أول مرة أكون وحيداً في غرفة مع امرأة إنكليزية.

فلورا : أوه. حسناً، من المؤكد أنك بدأت من الطرف العميق.

داس : لا ينبغي أن نشير إلى هذا مرة أخرى. كانت تلك مصيبة.

فلورا : (متعجبة) مصيبة! إنك لا تتحدث كفنان.

داس : إذاً ربما لست فناناً، كما قلتِ.

فلورا : لم أقل ذلك. كل ما فعلته هو أنني أمسكت لساني، واندفعت أنت في نوبة غضب. ماذا كنت ستفعل في خضم الحياة الأدبية في لندن؟ أتوقع أنك كنت ستشنق نفسك. عندما صدرت لي «الحورية في صلواتها» وصفها أحد المراجعين بأنها «الحورية في جنونها»،

كما لو أن قصائدي التي وجدت صعوبة بالغة في كتابتها لم تكن سوى عبث، لا أكثر من ذلك. التقيت منتقدي بعد عدة أشهر فسكبت شرابه على رأسه وعدت إلى البيت وكتبت قصيدة. وكان ذلك جيداً. لكنه أخذ مني أسابيع والآن أندم على ذلك.

داس : أوه! – لا تقولي لي إنك تموتين الآن!

فلورا : ربما، لكني أنوي أن يستغرقني ذلك سنوات وسنوات. وأنت ستموت كذلك، وهكذا دعني أكون درساً لك. تعلّم ألاّ تهتم. لم أقل شيئاً عن لوحتك، إذا كنت تريد أن تعرف، لأني فكّرت بأنك فنان هندي.

داس : فنان هندي؟

فلورا : نعم. أنت فنان هندي، أليس كذلك؟ دافع عن نفسك. لماذا تحب كل شيء إنكليزي؟

داس : أنا لا أحب كل شيء إنكليزي.

فلورا : بلى. أنت في غاية البهجة. تشيلسي، بلومزبري، «أوليفر تويست»، سجائر غولدفليك، وينسور ونيوتون ... حتى الرسم بالزيت، ذاك ليس هندياً. أنت تحاول أن ترسمني من وجهة نظري لا من وجهة نظرك - ما تعتقد أنت أنها وجهة نظري. أنت تستحق الإمبراطورية اللعينة!

داس : (بحدّة) هل لي أن أجلس، لو سمحت؟

فلورا : نعم، اجلس. فلورا هي نفسها من جديد.

داس : سأضع الكرسي قرب الباب.

فلورا : بإمكانك أن تضع الكرسي على الشرفة إذا شئت، حتى لا يقول الخدم -

داس : أريد أن أدخن، ذلك ما كنت أقصده.

فلورا : أوه. أنا آسفة. شكراً. في تلك الحالة، هل تستطيع أن تراني من عندك؟

داس : بالكاد.

فلورا : هل تلك نعم أو لا؟

(ترفع الغطاء عن جسمها وتخفضه كالشراع ثم تتركه يستقر.)

أووف - هذا أفضل! هذا ما أحب في بيتي الصغير - يمكنك أن ترى إلى الخارج أفضل مما ترى إلى الداخل.

داس : (بانفعال) لكنك تنظرين إلى بيت كذاك! الإمبراطورية اللعينة أنهت الفن الهندي!

(وقفة)

عذراً.

فلورا : لا، ذلك أفضل.

داس : قد تكون أختك على حق. والسيد تشامبرلين. قد نكون نُهبنا. نعم؛ عندما تضعين الأمور في الميزان. النساء هنا يرتدين الساري المصنوع في لانكاشاير. القطن هندي لكننا لا نستطيع المنافسة في النسج. شرحها لنا السيد تشامبرلين بلغة ماركسية بسيطة. في الواقع فقد أهان بعض الناس هنا. لم يدرك أن لدينا ماركسيونا، والعديد منهم في جمعية جومابور الثيوصوفية.

فلورا : السيد كومارسوامي ...؟

داس : لا، ليس السيد كومارسوامي. نقده هو أنكم لم تستغلوا الهند بشكل كاف. «أين محالج القطن؟ مصانع الفولاذ؟ لا استثمار، لا تخطيط. لقد خيّبت الإمبراطورية آمالنا!» ذاك هو السيد كومارسوامي. حسناً، الإمبراطورية ستذهب كما ذهبت الإمبراطورية المغولية من قبلها، ولم يبق إلاّ أوابدهم - رؤية شاه جاهان! - والسير إدوين لوتينز!

فلورا : «انظروا إلى أعمالي، أيها الجبابرة، وايأسوا!»

داس : (بسرور) أوه نعم! أخيراً كإمبراطورية رعمسيس! منسية تماماً إلاّ في قصيدة شاعر إنكليزي. ترين كم نحن محظوظين، آنسة كرو. في الفن وحده يمكن

للإمبراطوريات أن تخدع النسيان، لأن الفنان وحده يمكن أن يقول، «انظروا إلى أعمالي، أيها الجبابرة، وايأسوا». هناك لوحات مغولية في لندن، في متحف فيكتوريا وألبرت.

فلورا : كل ما هنالك أني لم أردك أن تفكر بأن الإنكليزي أفضل لأنه إنكليزي. ألا تستطيع أن ترسمني دون أن تفكر بروزيتي[١] أو ميليز؟ ولا سيما دون التفكير بهولمان هنت. هل فكّرت في سؤالي؟

داس : عندما وقفت ... وفي يدك إبريق الماء، كنت كألما - تاديما.[٢]

فلورا : حسناً، أنا لا أريد أن أُرسَم بتلك الطريقة - ذاك سي. بي. كوشران،[٣] لو تجرأ فحسب.

داس : لا أستطيع أن أفهم لماذا أنت غاضبة مني.

فلورا : كنت ترسمني كهدية، لكي ترضيني.

---

(١) دانتي غابرييل روزيتي، شاعر ومترجم ورسام، أسس أخوية ما قبل الرفائيليين مع وليام هولمان هنت وجون إيفيريت ميليز عام ١٨٤٨.

(٢) السير لورنس ألما - تاديما (١٨٣٦-١٩١٢)، فنان ولد في هولندا وعاش في بريطانيا منذ عام ١٨٧٣.

(٣) السير تشارلز بليك كوشران (١٨٧٢-١٩٥١)، مخرج مسرحي أميركي.

داس : نعم. نعم، كانت هدية لك.

فلورا : إذا لم تبدأ بتعلّم أن تأخذ فلن تتخلص منا. مِن مَن. لا شيء يهم غير ذلك. السيد تشامبرلين فارغ. السيد كومارسوامي فارغ. عندما كنت موديل مودي كان يمكن أن أكون طاولة. عندما انتهى، تخلص مني. لم يطرح سؤال مِن مَن. لن تغيّر لونه على الخارطة. لكن أرجوك أشعل سيجارتك.

(وقفة. داس يشعل سيجارته بعود ثقاب.)

داس : أحب ما قبل الرفائيليين لأنهم يحكون قصصاً. هذا تراثي، كذلك. أنا راجستاني. فننا هو فن سردي، قصص من الأساطير وقصص الحب. الرسامون الإنكليز عندهم الإنجيل وشيكسبير، والملك آرثر ... نحن كان عندنا باغافاتا[١] بورانا[٢]، والراسيكبريا[٣] التي كتبت تماماً في الوقت نفسه الذي كتب فيه شيكسبير مسرحيته الأولى.

---

(١) أغنية الإله كرشنا: أشهر نص ديني في الهندوسية، وهي عمل مستقل دُمج بالمهابهراتا. نُظمت بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الثاني بعد الميلاد.

(٢) أي نص سنسكريتي مقدس في الميثولوجيا أو الفولكلور الهندوسي.

(٣) السلّم الأخير، الثاني والسبعون، في الموسيقا الكلاسيكية في جنوب الهند.

وقبل تشوسر بكثير كان لدينا شورابانشاسيك[١]، من كشمير، وهي قصائد كتبها شاعر البلاط في طريقه إلى قطع رأسه لأنه وقع في غرام ابنة الملك، والملك أحب القصائد إلى درجة أنه عفا عن الشاعر وسمح للمحبين أن يتزوجا.

فلورا : أوه ...

داس : إلاّ أن الكتاب المفضل عند رسامي الراجبوت[٢] هو جيتا جوفيندا الذي يسرد قصة كريشنا ورادا أجمل النساء الراعيات.

(تبدأ مروحة السقف بالعمل.)

فلورا : جاءت الكهرباء.

داس : ستشعرين ببعض البرودة الآن.

فلورا : نعم. قد أغفو قليلاً.

داس : سيكون ذلك جيداً.

فلورا : لقد دعاني السيد ديورانس إلى العشاء في النادي.

داس : هل ستتمكنين من الذهاب؟

فلورا : أنا جيدة الآن.

---

(١) ملحمة حب هندية.

(٢) أحد أعضاء طبقة الجنود في الهندوسية.

داس : هذا جيد. وداعاً، إذاً.

فلورا : هل عوقب كريشنا ورادا في القصة؟

داس : على ماذا؟

فلورا : كان ينبغي أن آتي إلى هنا قبل سنوات. بإمكان صبي البونكا أن يتوقف الآن. هل يمكن أن تعطيه روبية؟ سأعيدها لك في الغد.

داس : سأعطيه آنا.[1] روبية يمكن أن تشكل اضطراباً في السوق.

(داس يغادر. فلورا تبقى في السرير.)

---

(١) واحد على ستة عشر من الروبية.

الفصل الثاني

نادي جومابور بعد غياب الشمس. موسيقا غرامافون. ثلاثة أزواج يرقصون: فلورا وديورانس، الحاكم وامرأة إنكليزية، زوج ثالث، رجل إنكليزي وسيدة إنكليزية.

على مبعدة من مكان الرقص هناك شرفة، ليست واسعة لاستيعاب الأثاث الضروري فحسب بل أيضاً لوجود حصانين صناعيين للتدريب، مجهزين بالركابات والأعنّة. يستعمل هذان الحصانان من أجل ممارسة البولو وهناك بالفعل عصوا بولو، قبعتان، وبعض المعدات الأخرى الموضوعة في الزاوية.

بايك يجلس على الشرفة، بدون ربطة عنق، يلبس قميصاً رياضياً نصف كم ماركة لاكوست.

امرأة إنكليزية: فلورا، هل تكتبين قصيدة عن الهند؟

فلورا : أحاول أن أفعل!

رجل إنكليزي: كيبلينغ – يا له من شاعر! «رغم أني ضربتك وسلخت جلدك، وحق الله الذي خلقك، أنت رجل أفضل مني، غونغا دِن!»(١).

امرأة إنكليزية: جيرالد، أنت تفضحنا. فلورا تكتب الشعر 'الحديث'، أليس كذلك ياعزيزتي، وهو ما لا يستطيع الناس 'تذكّره'.

الحاكم : الشاعر الوحيد الذي أعرفه هو ألفرد هاوسمان. أتوقع أن تكوني قد قرأته.

فلورا : (بسرور) أوه نعم، لقد قرأته بالفعل!

الحاكم : رجل جاف وبليد، أليس كذلك؟

فلورا : أوه ...

الحاكم : أعجبني من خلال «آرس أماتوريا» (فن الحب) عندما كنت طالباً في كلية ترينيتي.

فلورا : «آرس أماتوريا»؟

الحاكم : يقول إنه عندما يتعلق الأمر بالحب، يكون الإنسان إما أوفيد أو فيرجيل. - «الحب يكتسح كل شيء أمامه،

---

(١) المقطع الأخير من قصيدة سردية لروديارد كيبلينغ تتحدث عن حامل ماء هندي بالاسم نفسه ينقذ حياة جندي بريطاني ويموت.

ونحن نستسلم للحب» - هذا فيرجيل. هاوسمان كان من أتباع أوفيد - «الحب لن يهزمني».

فلورا : أنا من أتباع فيرجيل.

الحاكم : حقاً؟ حسناً، هذا يوسع دائرة معارف المرء.

امرأة إنكليزية: هل ستحضرين الحفلة الراقصة على شرف الملكة، فلورا؟

فلورا : حفلة ... ؟

امرأة إنكليزية: الشهر القادم، عيد ميلاد الملكة فيكتوريا، وهناك مسابقات رياضية!

فلورا : أوه ... أخشى أنني لن أتمكن من ذلك. سأذهب إلى الجبال في القريب العاجل.

الحاكم : بالتأكيد، أنت هنا بناء على أوامر الطبيب، على ما أعتقد.

فلورا : لماذا ... نعم ...

الحاكم : إذا كنت بحاجة شيء أخبري ديفيد - أليس كذلك يا ديفيد؟

ديورانس: نعم، سيدي.

فلورا : شكراً. لقد وعدني بأخذي في الديملر.

ديورانس: (مرتبكاً) أوه ... فلورا تحب السيارات.

امرأة إنكليزية: إذا كنت تحببين السيارات، فسموّه لديه نحو ستٍّ وثمانين سيارة. يجمعها كما يجمع الآخرون الطوابع.

فلورا : سموّه؟

رجل إنكليزي: راجا جومابور. إنها مجموعة رائعة.

(تُسمع موسيقا أسطوانة أخرى).

الحاكم : حسناً، لا تدعونا نمنعكم من الاستمتاع بالحفلة.

ديورانس: هل تحبين أن ترقصي، فلورا؟

فلورا : أشعر بضيق نفس. هل تعتقد أن في الخارج هواء أكثر؟

ديورانس: على الشرفة؟ هل نأخذ شرابنا معنا؟

(... يُسمع الرجل المعجب بكيبلنغ يغني دون أن يكون مرئياً):

رجل إنكليزي: «على الطريق إلى ماندالي

حيث تلعب الأسماك الطائرة،

ويأتي الفجر كالرعد في بحر الصين!»

(يتفرق الراقصون.

ديليب، يرتدي ثياباً أنيقة الآن، جاكيت وربطة عنق، يدخل إلى الشرفة من الداخل، بشيء من السرعة، يحمل جاكيتاً وربطة عنق. الجاكيت من الغباردين البيج الفاتح وبأزرار معدنية، جاكيت صغير لخادم. على الصدر، وبشكل لا يظهر للوهلة الأولى، هناك أشرطة وسام).

ديليب : ها أنذا أخيراً! - أنا آسف جداً، غلطتي أني لم أذكر - لكن، أنظر - كل شيء سيكون على ما يرام خلال ثوانٍ! - ولديّ أخبار ممتازة.

بايك : (ينهض) شكراً ديليب - ماذا ...

ديليب : (يساعده في ارتداء الجاكيت، الصغير جداً على بايك). ارتده وسأخبرك. الجاكيت لباس بائس، والشخص الذي تكرّم علينا به ليس من مقاسك.

بايك : (يكاد لا يصدّق) هذا رائع.

ديليب : الربطة، من ناحية أخرى، ممتازة، نادي كريكيت جومابور. صديقي السيد بالفيندر لا يزال يحتفظ بعدد منها في النادي. لكني لم أجلب جاكيت النادي.

(يبدأ بايك بارتداء الربطة المخططة).

بايك : هل تعني أنه ليس بإمكانك أن تأتي إلى هنا أبداً دون جاكيت وربطة عنق؟

ديليب : على الأقل لا يمكن الدخول إلى غرفة الطعام بعد غياب الشمس. أوه، هذه القواعد سخيفة! لكن - إلدون - نتج عن ذلك شيء رائع. لقد اكتشفت اسم الرسام الذي تبحث عنه!

بايك : حقاً؟

ديليب : نعم! كان اسمه نيراد داس. الآن يمكن أن نبحث!

بايك : لكن ديليب - لكن ذلك - كيف -؟

ديليب : إنه الله. لو كنت ترتدي جاكيتاً لكنا ما زلنا في الظلام. لكن باستعارة الجاكيت، أترى - أوه، لا تظن أني أناقش المسائل المتعلقة بك - بدا لي فحسب، هل لي أن أقول، من المناسب أن أشير إلى أهميتك -

بايك : ديليب، دعك من ذلك -

ديليب : من جهة أخرى، لم يبدِ صاحب الجاكيت فضولاً غير مؤدب حول شؤونك الشخصية، أؤكد لك - في الواقع إني أعرفه جيداً، إنه جندي عجوز، كان في الفوج السادس من رماة راجبوتانا -

بايك : ديليب - أرجوك!

ديليب : إنه يتذكر السيدة الإنكليزية التي أقامت في البيت المظلم.

بايك : هو ... يتذكر ...؟ لكن هل أنت متأكد من أنها نفس -؟

ديليب : أوه نعم - رأى الآنسة كرو وهي تجلس ليرسمها.

بايك : (عندما يسترد وعيه) يجب أن أتحدث إليه.

ديليب : أكيد. بعد العشاء ســـ ...

بايك : بعد العشاء؟ يمكن أن يموت وأنا آكل! أين هو؟ ادعه ليتناول العشاء معنا.

ديليب : أوه، هذا غير ممكن.

بايك : لماذا؟

ديليب : لن يحب ذلك. على أية حال، ليس عنده جاكيت.

بايك : إننا نحيد عن الموضوع هنا -

ديليب : ثم أنه يعمل الآن.

بايك : ماذا، هو يعمل هنا؟

ديليب : تماماً. إنه يعمل هنا. يشرف على غرفة الملابس.

بايك : حسناً، هذا رائع. أرِني الطريق إليه.

ديليب : إلدون، أرجوك اسمعني. لن نقتحم المغاسل الآن.

(ديليب يشير إلى شرائط الوسام على صدر بايك.)

أحد هذه الأشرطة لـــ ٣٩ إلى ٤٥. هذه، فيما أعتقد، هي نجمة بورما. إنه برجل واحدة. ليس له أبناء. له ثلاث بنات، اثنتان غير متزوجتين، ولكي يزوِّج الثالثة باع تقاعده في الجيش وتدبر عملاً في تنظيف المراحيض. غداً، لدينا الوقت للتفكير، للتقدير ... يمكننا أن نتناول كوباً من الشاي في الميدان ونتحدث عن أيام زمان. صدّقني.

بايك : تقدير. إذا مات فسأقتلك.

ديليب : (يضحك) لن يموت. دعني أذهب وأرى إذا كانت طاولتنا جاهزة. أوه، آسف -! مع كل هذه الإثارة لم أقدّم لك شيئاً من المقبلات.

بايك : ما اسمه؟

ديليب : السيد رام سونيل سينغ، سابقاً سوبادار، الكتيبة ب، الفوج السادس رماة راجبوتانا.

بايك : لا شك أنه عجوز.

(تزحف موسيقا الغرامافون من جديد. فلورا تخرج إلى الشرفة وحيدة.)

ديليب : لا، أبداً. كان حينذاك صبياً صغيراً. ذات يوم كانت المصاحب مريضة وكُلف رام سونيل سينغ بتشغيل البونكا ليبرد الهواء. أعطاه السيد نيراد داس آنّتين. لا يمكن للمرء أن ينسى أشياء كهذه. (يغادر.) لن أغيب ثانية. لا بد لي من القول إن بإمكاني أن آكل حصاناً!

(ديليب يغادر.)

فلورا : «طالب يدي - أعتقد أن بإمكاني تسميته كذلك، رغم أني لم أفعل شيئاً يشجعه - أتى ليأخذني بسيارة مكشوفة، مما أدى إلى تجمع عدد كبير من الناس، وذهبنا والناس يتساقطون عن أغطية الإطارات، إنها

كمغادرة بو ستريت – يا إلهي، ما أغرب ذلك، كان ذلك قبل عشر سنوات بالضبط».

بايك : في الواقع تسع سنوات. انظر ’المرأة التي كتبت ما عرفته‘، إي. سي. بايك، «مودرن لانغويج ريفيو»، ربيع ١٩٧٩.

فلورا : وكان جميع من في النادي في غاية الود، موضحين أنهم رغم عدم اهتمامهم بالشعر فإنهم لا يعادونه، وهكذا كان كل شيء على ما يرام، وكان العشاء حساءً، وسمك مسلوق، وشرحات لحم خروف، وترايفل كرز، وسردين على خبز محمّص، ويدهشني ياعزيزتي كيف نتدبر الأمور هنا، لأنني لا أثق ببعضهم لإدارة هذه الإمبراطورية المنهَكة. حسناً، كل ذلك سينتهي. هذا رسمي. سمعته من مصدر موثوق -».

(الحاكم والمرأة الإنكليزية يدخلان راقصين، بمزاج مرح).

الحاكم : (راقصاً) (آ) إن واجبنا الأخلاقي يستدعي أن نبقى (ب) إننا سنتهرب منه.

(الحاكم والمرأة الإنكليزية يرقصان دائرين ويخرجان.)

ديورانس: ها نحن ذا، كأس ويسكي كبير.

فلورا : الكثير من الصودا في كأسي، لو سمحت.

ديورانس : أنا سأقوم بذلك.

(ينحني الخادم ويغادر. يظهر ديليب من جديد)

ديليب : إلدون! نستطيع أن نأكل! آمل أن تحب ناديّ. قصر جومابور فندق جميل، بالتأكيد، لكن هذا المكان كان في الماضي المسكن الخاص للراجا.

بايك : (يتبعه) أين يعيش الآن؟

ديليب : (مغادراً) في المبنى الملحق! كاري السمك جيد في العادة، ولا تنسى الخبز والزبدة!

ديورانس : قولي متى.

فلورا : متى ... بصحتك.

ديورانس : بصحتك.

فلورا : آسفة لمضايقتك.

ديورانس : هذا أفضل. إذاً، فقد أتيت إلى الهند من أجل صحتك...

فلورا : هل تعتقد أنها فكرة مسلية؟

ديورانس : حسناً، بعض الشيء. هل رأيت المقبرة الإنكليزية؟

فلورا : لا.

ديورانس : يجب أن آخذك لتريها.

فلورا : أوه.

ديورانس: الناس هنا يتساقطون كالذباب - كوليرا، تيفوئيد، مالاريا - الرجال، النساء والأطفال، يكونون هنا اليوم ويختفون في الغد. هل أنت متأكدة أن الطبيب قال الهند؟

فلورا : لم يقل الهند. قال رحلة بحرية ومكان دافئ. أنا أردت أن آتي إلى الهند.

ديورانس: مرحى لك. عيشي عيشة خطرة. خلال شهر، لن تستطيعي تخيّلها، الحرارة. لكنك ستذهبين إلى الجبال، وهكذا ستكونين على ما يرام. (مشيراً إلى الكرسي) هذا جيد لوضع الأرجل على مكان مرتفع.

فلورا : نعم. شكراً. إنه ناد جميل.

ديورانس: نعم، إنه مكان محترم. ليس هناك الكثير من البريطانيين هنا ولذلك فإننا نختلط أكثر.

فلورا : مع الهنود؟

ديورانس: لا. في الهند الأصلية، هندنا، لا بد من وجود ناديين أو ثلاثة. موظفو الحكومة لهم ناديهم، تعرفين - والجيش ...

فلورا : السيد داس قال إنك كابتن.

ديورانس: نعم، أنا في الجيش، منتدب إلى هنا بالتأكيد. نحن اثنان هنا - نسمي أنفسنا وكلاء سياسيين عندما نتجول على الولايات. جومابور ليست ولاية تتلقين

فيها تحية من إحدى وعشرين طلقة - رئيسي مسؤول عن ست ولايات.

فلورا : مسؤول؟

ديورانس: أوه نعم.

فلورا : هل هو في الجيش؟ لا – يا له من سؤال سخيف -

ديورانس: إنه في سلك الخدمة المدنية. مولود في السماء. براهمي.

فلورا : لست جاداً؟

ديورانس: نعم، أنا جاد. أوه لا، لا أعني براهمي. لكن قد نصل إلى ذلك مع سياسة التهنيد.

فلورا : ...؟

ديورانس: التهنيد. لقد انتهى كل شيء، كما تعلمين. لدينا ضباط هنود في الفوج الآن. الكابتن الآخر معي هندي، شخص لطيف جداً، اجتاز الامتحان، قضى سنة في كيمبريدج، تعلم البولو والأكل بالشوكة والسكين، وهو هنا الآن، صاحب موثوق في الخدمة المدنية الهندية.

فلورا : هل هو هنا؟

ديورانس: في النادي؟ لا، لا يستطيع أن يأتي إلى النادي.

فلورا : أوه.

ديورانس: بصحتك، فلورا. أشرب لصحتك التي أتيت من أجلها. كنت أتمنى لو أنك تبقين لمدة أطول. أعني، من أجلي فحسب، فلورا.

فلورا : نعم، لكني لن أبقى. لا تبدو مثيراً للشفقة. قد تحبني أقل وأقل كلما عرفتني أكثر.

ديورانس: هل تريدين أن تذهبي لركوب الخيل في الصباح؟

فلورا : هل أنت جاد؟

ديورانس: نعم، أنا جاد، هل تذهبين؟

فلورا : بالديملر؟

ديورانس: لا. قولي إنك ستذهبين. علينا أن ندخل بعد قليل إذا لم يخرج أحد.

فلورا : لماذا؟

ديورانس: ليس هناك شيء هنا سوى القيل والقال. الجميع مشغولون بك. إحدى الزوجات تدّعي ... هل كتب عنك شيء في الصحف في إنكلترا؟ فضيحة من نوع ما حول كتبك، أو شيء من هذا القبيل؟

فلورا : الآن عرفت لماذا تبدو عصبياً، لأنك وقعت في فخي هنا - دعنا ندخل -

ديورانس: لا - أنا آسف. فلورا ...؟ سلام؟ أرجوك.

فلورا : طيب، سلام.

(يقبلها بتردد دون أن تدعوه).

ديورانس: مختوم بقبلة.

فلورا : لا تفعلها مرة ثانية. أعني ما أقول، ديفيد. فكر بمستقبلك.

ديورانس: هل أنت فعلاً امرأة فضائحية؟

فلورا : كنت لمدة من الزمن. طُلبت إلى المحكمة، شارع بو.

ديورانس: (مرعوباً) أوه، حقاً؟

فلورا : تقريباً. كنت شاهدة. الناشر هو الذي كان في قفص الاتهام، لكن القضية كانت حول قصائدي - كتابي الأول.

ديورانس: أوه، الآن فهمت.

فلورا : رُفضت الدعوة شكلاً، وكان رجال الشرطة في غاية اللطف، أخذوني من بين المتجمعين في عربة. طُلب من أختي أن تترك المدرسة. لكن تلك كانت غلطتي - سألني القاضي لماذا كانت كل القصائد حول الجنس، فقلت، «اكتب عما تعرف» - كنت أتباهى فحسب. كنت عذراء عندها، لكن ذلك نشر في

الجرائد وأصبح اسمي معروفاً حتى لـــدى زوجـــة مزارع قنّب في راجبوتانا، اللعنة، اللعنة، لا، دعنا ندخل.

ديورانس: اجلسي، هذا أمر.

(ديورانس، الذي كان واقفاً، يقفز فوق أحد الأحصنة.)

فلورا : يا ساتر، لن تريني كل مهاراتك الآن؟

ديورانس: (يضحك) هل تحبين البولو؟

فلورا : حسناً، لا ألعب كثيراً.

ديورانس: قيسي مدى الرمية، ...

(يلوح بمضرب البولو)

كيف الويسكي؟

فلورا : ممتازة. وطعمها أفضل لأنها ممنوعة. يا إلهي! من أين أتى ذلك القمر؟

ديورانس: أفضل. أنا أحب هذا البلد، ألا تحبيه أنت؟

فلورا : ماذا سيحدث له؟ الشغب الذي حصل في المدينة هذا الصباح ... هل يحدث هذا بشكل متكرر؟

ديورانس: لا، ليس هنا. السجون تمتلئ في الهند البريطانية.

فلورا : حسناً، إذاً.

ديورانس: لم يكن ذلك ضدنا، كان الهندوس ضد المسلمين. وصلت مسيرة الملح التي يقودها غاندي إلى البحر اليوم، هل سمعت؟

فلورا : لا. أريد أن أعرف.

ديورانس: أغلق الهندوس من حزب المؤتمر محلاتهم تعاطفاً، ولم ينضم لهم المسلمون، هذا كل ما هنالك.

فلورا : طبّاخي عاد وقد اختُطفت منه دجاجتان.

ديورانس: المؤتمر الوطني الهندي لا بأس به، لكن بالنسبة للمسلمين، المؤتمر يعني غاندي ... حزب هندوسي في كل شيء عدا الاسم.

فلورا : هل سيُعتقل غاندي؟

ديورانس: لا، لا. في الواقع فإن ضريبة الملح سخيفة.

فلورا : نعم، تبدو صعبة في بلد كهذا.

فلورا : ليس هذا النوع من السخف. كل ما تصل إليه هذه الضريبة هو نحو أربع آنات في السنة. معظم الهنود لم يكونوا يعرفون أن هناك ضريبة ملح.

فلورا : حسناً، إنهم يعرفون الآن.

ديورانس: نعم. إنهم يعرفون.

فلورا : دعني أجرّب.

(هناك قبعة شمسية على الحصان الثاني. تضع القبعة على رأسها، وتضع قدمها في الركاب. ديورانس يساعد فلورا وهو يضحك على امتطاء الحصان الثاني.)

أوه نعم، إنها بسيطة. نعم، أستطيع أن أرى فائدتها، يا لها من متعة، بولو وأشواك وسكاكين. هل هذا كل ما تحتاجه لحكم الهند؟

ديورانس: (يضحك) أوه نعم. هناك نحو ألف ومئتي ضابط، يعني أن هناك أربعة من رجالنا لكل مليون هندي.

فلورا : ولماذا يقبل الهنود بهذا؟

ديورانس: لِمَ لا؟ نحن الأفضل.

فلورا : حقاً؟

ديورانس: اسأليهم.

فلورا : من؟

ديورانس: الهنود. اسأليهم. لقد وحّدنا هذا البلد. لقد استغرق ذلك مئتي سنة مع بعض المنغصات، لكن المكان يعمل الآن.

فلورا : هذا ما تحبه إذاً؟ ما شاركت في خلقه؟

ديورانس: أوه لا - أنا أحب الهند. سأريك.

(يصهل الحصانان، يترنح حصان فلورا حتى يكاد يرميها. تصرخ بفرح.)

ديورانس: ضمي ركبتيك!

(يصبح المشهد خارجياً. يبقى الممثلان على الحصانين.)

شروق الشمس. ضباب طفيف قرب الأرض.

يهتز الحصانان، يعيد الراكبان توازنهما، تشهق فلورا مرتعبة، والطيور تزقزق، وتبتعد بسرعة.)

ديورانس: إنها طيور الطهيوج! هل أنت على ما يرام؟

فلورا : لقد أرعبتني.

ديورانس: حان الوقت لننطلق خبباً - ارتفعت الشمس.

فلورا : أووبس - ديفيد - علي أن أخبرك - قف! هذه أول مرة أركب حصاناً.

ديورانس: نعم، لقد لاحظت ذلك.

فلورا : (مستاءة) حقاً؟ حتى ونحن نمشي؟ شعرت بالفخر ونحن نمشي.

ديورانس: لا، أخشى أنك لا تنفعين.

فلورا : أوه، عليك اللعنة. سأترجل.

ديورانس: لا، لا، اجلسي فحسب. إنه كالكرسي. تنفسي. رائحة الهند رائعة، أليس كذلك؟

فلورا: هنا، عندما تخرج من المدينة، نعم.

ديورانس: يجب أن تشمي رائحة الشباتي[١] التي تطبخ على نار زبل الجمال في صحراء تهر[٢]. عطر!

فلورا : ماذا كنت تفعل هناك؟

ديورانس: كنت أطبخ شباتي على نار زبل الجمال. (يضحك) سأخبرك أين سارت الأمور بشكل خاطىء بالنسبة لنا في الهند. لقد كانت قناة السويس. ذاك ما فسح المجال للنساء للقدوم.

فلورا : أوه!

ديورانس: هذا أكيد. عندما كان علينا أن نبحر حول رأس الرجاء الصالح، كان هذا بلداً للرجال وكنا نختلط مع أهل البلاد. النساء وضعن حداً لذلك. لم تشأ النساء أن يختلطن، حتى أنهن لم يقبلن أن يكن في غرفة واحدة مع هندي.

---

(١) نوع من الخبز المصنوع من دقيق القمح الكامل ويضاف إليه الملح والزيت أحياناً.

(٢) تعرف أيضاً بالصحراء الهندية الكبرى تقع في الجزء الشمالي الغربي من شبه القارة الهندية وتبلغ مساحتها حوالي ٢٠٠،٠٠٠ كم^{2}.

فلورا : أوه ...

ديورانس: لا توجهي أصابع قدميك إلى الخارج. هل لي أن أسألك سؤالاً شخصياً؟

فلورا : لا.

ديورانس: لا بأس.

فلورا : أنا كنت أريد أن أسألك شيئاً. كيف عرف الحاكم أني أتيت إلى الهند من أجل صحتي.

ديورانس: عمله يتطلب أن يعرف. ادفعي ظهرك إلى الوراء. الأعنة مرتخية أكثر من اللازم.

فلورا : لكني لم أخبر أحداً.

ديورانس: من الواضح أنك فعلت.

فلورا : السيد داس فحسب.

ديورانس: أوه حسناً، هذا يفسر الأمر. جيد منك أن تظهري الصداقة بالتأكيد، أن تمنحيه ثقتك، أن تشربي الليمونادة معه، وكل ذلك، لكنهم لا يستطيعون منع أنفسهم من التباهي بذلك.

فلورا : (غاضبة) هراء!

ديورانس: حسناً ... كما تشائين.

فلورا : أنا آسفة. رغم ذلك فإني لا أصدقك.

ديورانس: جيد.

فلورا : أنا آسفة. سلام.

ديورانس: فلورا.

فلورا : لا.

ديورانس: هل تتزوجيني؟

فلورا : لا.

ديورانس: هل ستفكرين في ذلك؟

فلورا : لا. شكراً.

ديورانس: حب من النظرة الأولى. سامحيني.

فلورا : أوه، ديفيد.

ديورانس: ضمي ركبتيك.

فلورا : هذا صحيح.

(تضحك دون خبث لكن دون أن تكبح نفسها. الحصانان يخبّان.)

(ديليب وبايك في حديقة فندق قصر جومابور، الذي كان في الماضي قصر راجا جومابور. خادم يرتدي اللباس التقليدي يحضر لهما كولا أميركية.

وهكذا يستطيع الخدم أن يعملوا بحرية في الفترتين الزمنيتين.)

ديليب : مسكين السيد نيراد داس! ستة أشهر في السجن لرميه حبة مانغو!

بايك : الأمر رائع، ديليبز سوبادار رام سونيل سينغ، الذي ينظف دورات المياه منجم ذهب!

ديليب : وهو يعتقد أنك منجم! الأمر مرضٍ تماماً.

بايك : هل أعطيته أكثر مما ينبغي؟ إن الفقر هنا كـ ... كالمتسولين على الشارات الضوئية ... في البداية كنت أرمي الروبيات من النافذة ... لكن المسألة تصبح مستحيلة. لا تستطيع ... إنهم أكثر من أن تتمكن ... أعني ليس هناك حل وسط، إما أن تكون القديس فرانسيس أو نذلاً غنياً يتجاهلهم، ليس هناك شيء في الوسط يلمس المشكلة. ليس القديس فرانسيس، لم أقصد أية قلة احترام، إنهم ليسوا طيوراً - لكن الأم تيريزا، هي كالقديسة. الآن أبقي الأبواب مقفلة. تلك هي الحقيقة. أول شيء أفعله الآن عندما تتوقف التاكسي عند ضوء أحمر هو أن أتفقد الأبواب، وأرفع زجاج النوافذ. لكن هذه

المرأة، كانت تحمل طفلاً يرضع من صدرها، أعني بدت في الستين من عمرها، - حسناً، هذا ما أعنيه، يدها مقطوعة، وبنهاية الذراع كانت تطرق زجاج النافذة، وكانت ... ما زالت تنزف ... وهكذا عندما تغير ضوء الإشارة، تركت نهاية ذراعها لطخات على الزجاج ...

ديليب : يجب أن تفهم أن التسول مهنة. كطب الأسنان. كتلميع الأحذية. إنه خدمة. بين وقتٍ وآخر تشعر أنك بحاجة لأن تحشو ضرسك، أو أن تلمّع حذاءك، أو أن تعطي حسنة. وهكذا، فعندما يتقدم إليك متسول، يجب أن تسأل نفسك - هل أنا بحاجة للمتسول اليوم؟ إذا كنت كذلك، اعطه حسنة. إذا لم تكن، لا تعطه. لديكم متسولون في أميركا.

بايك : لدينا مشردين، سكيرين، أناس غير محظوظين ... ليست خدمة، كرمى لله.

ديليب : آه حسناً، نحن في مرحلة أكثر تطوراً.

بايك : هل هذه هي الهندوسية، ديليب؟

ديليب : (بلطف) لقد كانت مجرد نكتة، إلدون.

بايك : أوه ... صحيح.

ديليب : يمكن للمرء أن يرى لماذا نقلت الجمعية الثيوصوفية مقرّها من أميركا. (يحمل كأسه) دعنا نشرب لصحة السيدة بلافاتسكي.

بايك : من هي؟

ديليب : ماذا؟ ألا تعرف 'موسيقا القِرَب'؟

بايك : أوه ... (نعم).

ديليب : لا نريد رجل اليوغا، لا نريد بلافاتسكي ...

بايك : ماك نيس[١]، صحيح.

ديليب : السيدة بلافاتسكي كانت اسماً شهيراً في الهند، كانت هي الجمعية الثيوصوفية ذاتها. ماتت قبل عام ١٩٣٠ بكثير بالتأكيد، وقد نُسيت تماماً، إلاّ في قصيدتي المفضلة في كتاب أوكسفورد للشعر الإنكليزي.

بايك : لماذا أنت مجنون بالأدب الإنكليزي، ديليب؟

ديليب : لا لست مجنوناً بالأدب الإنكليزي!

بايك : تحبه كثيراً!

ديليب : نعم، أحبه.

---

(١) شاعر ومسرحي أيرلندي (١٩٠٧-١٩٦٣).

بايك : نعم، تحبه.

ديليب : (بمرح) نعم، إنه كارثة بالنسبة لنا! بعد خمسين عاماً من الاستقلال لا نزال منومين مغناطيسياً! يجب ارتداء الجاكيتات وربطات العنق! المدارس الخاصة لأبناء الذوات، التي تدار على الطريقة الإنكليزية، وصوت بوش هاوس[١] يسمع في كل أنحاء البلاد. لا بد لغاندي أن يصوم من جديد، على ما أعتقد. إلاّ أنه سيموت هذه المرة. لم يكن من أجل هند كهذه، في رأيي، أن نيراد داس وأصدقاءه رفعوا رايتهم التي خاطوها في منازلهم في الاحتفالات الرياضية لعيد الإمبراطورية. ليس من أجل هند كهذه رمى المانغو على سيارة الحاكم. من سوء الحظ أنه وضع كل روحه الثورية في حياته وليس في فنه.

بايك : هل تعتقد أنه كان على علاقة بفلورا كرو؟

ديليب : طبعاً، البورتريه علاقة.

بايك : لا، أعني علاقة.

ديليب : لا أفهمك.

---

(١) مقر الخدمة العالمية لهيئة الإذاعة البريطانية في لندن.

بايك : رسمها عارية.

ديليب : لا أعتقد ذلك.

بايك : أحد ما فعلها.

ديليب : عام ١٩٣٠، امرأة إنكليزية، رسام هندي ... غير وارد أبداً.

بايك : إلاّ إذا كان على علاقة معها.

ديليب : أوه ... علاقة؟ أهذا ما أردت قوله؟ (يتسلى) علاقة!

بايك : الموضوع جدّي.

ديليب : (يضحك) أوه، جدي جداً. ما رأيك بـــ - حسناً، بعلاقة؟

بايك : صداقة.

(يكاد ديليب ينقلب عن كرسيه من الضحك.)

أرجوك، ديليب ...

ديليب : (مستعيداً توازنه) حسناً، لا يمكن أن نعرف. أنت تبني صرحاً من الافتراضات على لطخة من الصباغ على الورق، لم تعد موجودة.

بايك : لا بد أن توجد - انظر إلى المسافة التي قطعتها لإيجادها.

ديليب : أوه، هندي جداً! حسناً، إذا كان الأمر كذلك، هناك طريقان لاستكشاف الموضوع. أولاً، بإمكانك أن تتجول في أنحاء جومابور ناظراً إلى كل قطعة ورق يمكن أن تراها. ثانياً، أن تقف في مكان واحد وتنظر إلى كل قطعة ورق تأتي إليك.

(خادم يحضر ورقة لبايك، ثم يغادر.)

بايك : (يقرأ الملاحظة) إنه قادم. ظننت أنه سيطلب منا الصعود إليه.

ديليب : لا تنزعج.

بايك : لم أنزعج.

ديليب : هو ليس الراجا الآن، إنه سياسي عادي. لقد تسلّم رسالتك. آمل أن يستطيع مساعدتك. على كل حال، من الأفضل أن أتركك حتى لا يتوجب عليه ارتداء قبعتين.

بايك : كيف أخاطبه؟

ديليب : سُموّك. وهو سيصحح لك إن لم يعجبه.

(ديليب يغادر.

فلورا تدخل، مرتدية ثياباً تليق بالغداء مع سمو راجا جومابور.)

فلورا: «سُمح لي بعدم حضور عرض الكنيسة، حيث يشكّون بأني شيوعية، وكنت أكتب الجزء الأخير على شرفتي بعد الجولة الصباحية على الحصان عندما أتت سيارة رولز سيركا ١٩١٢ جديدة، مع ملاحظة من صاحب السمو الراجا تتحدث عن جمالي الروحي وتدعوني للغداء.»

الراجا: (يدخل) لقد ازداد الجمال الروحي لجومابور ألف مرة بوجودك، آنسة كرو! يخبرونني أنك خبيرة في السيارات.

فلورا: «حسناً، ماذا تفعل فتاة مسكينة؟ تقفز إلى المقعد الخلفي في الرولز.»

(الراجا لا يلبس ثياباً رسمية للغاية - ثيابه بيضاء في الغالب، جاكيت ضيق وطويل مع سروال ضيق. يصافح فلورا التي تكون قد وقفت.)

الراجا : من المبهج أنك استطعت أن تأتي!

فلورا : أوه، لطف منك أن تطلب مني القدوم ... سموك.

الراجا : لسوء الحظ لا أستطيع أن أريك إياها جميعاً في الوقت نفسه لأن لدي من السيارات أكثر بكثير مما لدي من

الميكانيكيين، بالتأكيد. لكن بإمكاننا أن نجلس ونتحدث بين المشاهد.

فلورا : سأكون سعيدة إذا مشيت حولها، سموك.

الراجا : أوه، إلاّ أن ذلك سينكر عليها جوهرها! لن تكون سيارات، إذا قمنا نحن بالحركة، وقامت هي بالجلوس.

(موكب فخمٌ من السيارات، متميز وغير مرئي، يبدأ بالمرور من أمامهما.)

فلورا : أوه - ! يا للجمال! دوسنبرغ! وما تلك؟ - آه، يا إلهي، إنها بوغاتي موديل ٤١! لم أرها من قبل! و... هل هذه أوسوتا فراشيني؟

الراجا : ممكن. حصلت عليها كتسوية لدين في القمار من بندور ويستمنستر. هل تعرفينه؟

فلورا : لا أعرف أي دوق.

الراجا : إنه جاري في جنوب فرنسا. أذهب إلى جنوب فرنسا كل سنة، من أجل صحتي. (يضحك.) لكنك أتيت إلى الهند من أجل صحتك!

فلورا : (غير مسرورة) حسناً ... نعم، سموك. يبدو أن الجميع يعرفون كل شيء عني.

الراجا : كان السيد تشرشل في الحفل. إنه رسام. هل تعرفين السيد تشرشل؟

فلورا : لا أعرفه جيداً.

الراجا : كنت في المدرسة معه، فيما يظهر. لا أستطيع أن أتذكره على الإطلاق، لكني أقرأ خطابات السيد تشرشل باهتمام، و... أوه – انظري إلى تلك السيارة! لم أستطع مقاومة أضوائها. إنها هائلة الحجم كبيضتي طير من الكروم.

فلورا : نعم - برانكوسي!

الراجا : تعرفينها جميعاً، آنسة كرو! ... نعم، السيد تشرشل محق تماماً، ألا تتفقين معي، آنسة كرو؟

فلورا : حول ماذا بالضبط، سموك؟

الراجا : على حد تعبيره، إن ضياع الهند سيحوِّل بريطانيا إلى قوة ثانوية.

فلورا : قد يكون ذلك صحيحاً، لكن على المرء أن ينظر إلى مصالح الهند كذلك.

الراجا : أنا يجب أن أنظر إلى مصالح جومابور.

فلورا : نعم، بالتأكيد، لكن أليست هي المصالح نفسها؟

الراجا : لا، لا. الاستقلال سيعني نهاية الدول الأميرية. رغم أنك محقة بشكل ما. الاستقلال سيعني نهاية وحدة شبه القارة. انظري إلى اضطرابات أمس في المدينة. أخبري السيد تشرشل عن لساني، آنسة كرو. جدّي وقف بصلابة مع البريطانيين خلال الانتفاضة الأولى.

فلورا : الـ ...؟

الراجا : في عام ١٨٥٧ كان الخطر يأتي من الأصوليين -

فلورا : التمرّد ...

الراجا : - اليوم الخطر يكمن في التقدميين. أنا لا أقصد إهانتك بالطبع آنسة كرو!

فلورا : أعتبر ذلك إطراءً.

الراجا : الماركسية. العصيان المدني. لكني أخبرت نائب الملكة، أن عليكم أن تحاربوهم بالطريقة نفسها، لن تربحوا بلعب الكريكيت.

(هناك توقف في مرور موكب السيارات. يظهر خادم ومعه صينية عليها مشروبات، وفواكه، وعلبة سجائر، وطاس لغسيل الأصابع، ومناديل.)

آه، الاستراحة الأولى. هل تدخنين؟ لا؟ أنــا أســتمتع بالسيجارة. يجب أن تقولي لي عندما تملّي من مــرور السيارات. لدي بعض الأشــياء فــي شــقتي حظيــت بتعليقات إيجابية من مؤرخي الفــن الهنــدي، وحتــى صيحات غبطة من بعضهم إذا أردت أن أكون صريحاً معك. هل تحبين الفن، آنسة كرو؟

فلورا : أحب ذلك كثيراً.

الراجا : أكيد تحبينه، أنت شاعرة. سيسعدني أن أريك إياها.

فلورا : أحب ذلك كثيراً.

الراجا : حقاً؟ نعم، أستطيع أن أرى أنك مهتمة فعلاً. لقد أنتجت مراسم ومشاغل أسلافي أعمالاً يمكن مقارنتها بأفضل ما أنتج في راجستان.

فلورا : أحب أن أرى 'كل شيء'!

الراجا : إذاً سترين. حسناً، ليس كل شيء، ربما. للأسف فإن بعض أروع الأعمال وأدقها يعتبر، في رأي بعض الناس غير محتشم.

فلورا : من يعتبره كذلك؟ أنت؟

الراجا : أوه لا. في ثقافتي، الفن الشهواني له تاريخ عريق وهدف في غاية الجدية.

فلورا : (غير غاضبة) لكن للرجال فحسب، سموّك؟

الراجا : لقد أغضبتك. أنا آسف. ما كان ينبغي أن أشير إلى ذلك.

فلورا : أنا سعيدة أنك فعلت. وإلاّ لما رأيتها.

الراجا : (بارتياح) أوه، عزيزتي الآنسة كرو، إنك تجعلينني أحس بعدم الارتياح! ماذا يمكن أن أقول؟

فلورا : ماذا تقول في العادة، سموك؟ حسناً ... هناك مزيد من السيارات ... سأترك الأمر لك.

(سيارة أخرى تمر من أمامهم.)

(بسرور) أوه - شبح فضي. يا إلهي، إنها جميلة.

الراجا : ألا ترغبين بتناول بعض الفاكهة؟

فلورا : نعم، يمكن أن أتناول بعضها. شكراً.

(من صينية عليها كومة من التانجرين، والموز، والليش، إلخ.، تأخذ حبة مشمش وتعض عليها.)

المشمش هو فاكهتي المفضلة.

الراجا : آنسة كرو، سترين كل اللوحات التي ترغبين برؤيتها؛ على شرط أن تسمحي لي باختيار واحدة أقدمها هدية لك.

فلورا : أوه ... شكراً، سموك، لكن إذا كان هناك شروط، لست متأكدة من أني أريد أن أرى أياً منها.

الراجا : السيدات الإنكليزيات أتين.السيدة تيوك، السيدة ستوكلي سميث، السيدة بلين... أكثر من عشر، ليرين برك الزنبق، وحديقة الزهور ... شربن الشاي وقدمت لهن فواكه، لكنهن أكلن الفواكه التي استطعن إزالة قشورها فحسب.

فلورا : نعم، أفهم، أقبل إذاً.

(إحدى السيارات تجعل فلورا تشهق وتكاد تقفز من كرسيها.)

أوه! - أعرف تلك!

الراجا : طبعاً تعرفينها، آنسة كرو!

فلورا : لا، أنا فعلاً أعرفها. من أين حصلت عليها؟

الراجا : حسناً ... من محل لبيع السيارات.

فلورا : هل يمكن أن تطلب من السائق أن يوقفها لحظة؟

(فلورا تقف. يشير الراجا كي تتوقف السيارة، فتفعل. تتقدم فلورا خطوة أو خطوتين باتجاه السيارة غير المرئية.)

الراجا : هل تحبين أن تذهبي في جولة فيها؟

(فلورا تهز رأسها.)

فلورا : «أوه ياعزيزتي، كانت سيارة غَس البنتلي! أعني أنها كانت السيارة نفسها التي فسخت فيها خطوبتي عندما أخذت غَس إلى المعرض الفرنسي في هيلز – لا تزال عليها اللوحة أ. ب.!»

الراجا : ألها ذكريات عندك، آنسة كرو؟

فلورا : نعم. هل يمكن أن أذهب وأجلس فيها؟

الراجا : ذكريات رومانسية؟

فلورا : شارع توتنام كورت، قبل عشر سنوات. ضربت رجلاً بحذائي في تلك السيارة.

(تذهب لورا إلى السيارة مغادرة المسرح.

بايك : أغسطس دي بوشيرون تمتع بالشهرة كمليونير خيّر وراعٍ للفنون لمدة قصيرة من الزمن. التقته ف. ك. - وتلقت عرضاً بالزواج - في الثالث من كانون الأول ١٩١٧. كانت المناسبة عرض موديلياني الأول في باريس. جلست ف. ك. أمام الفنان ليرسمها بعد ذلك بقليل. في معرض الفن الفرنسي الحديث في قاعة هيل وأولاده في شارع توتنام كورت، لندن، في آب

١٩١٩، كان موديلياني واحداً من عدة فنانين آخرين جدد تظهر أعمالهم مع الفنانين الأكثر شهرة: ماتيس، بيكاسو وديرين. وصلت ف. ك. إلى هيل مع دي بوشيرون، متوقعة أن ترى البورتريه التي رسمها لها موديلياني، لكن قبل مغادرتهما بنتلي اكتشفت أن خطيبها اشترى اللوحة من الفنان، واعترف بانتصار أنه أخذها إلى فندق ريتز وأحرقها في مغطس الحمام. وفي سياق الخصام أعادت ف. ك. خاتم الخطوبة إلى دي بوشيرون، ووضعت خططاً للجلوس لموديلياني مرة أخرى في خريف العام نفسه. لكنها تأخرت فوصلت إلى باريس في الثالث والعشرين من كانون الثاني، دون أن تعرف أن موديلياني كان قد نقل إلى المستشفى. ومات في الليلة التالية، دون أن يستعيد وعيه، بداء السل في الخامسة والثلاثين من عمره. دخل دي بوشيرون، باسمه الحقيقي بيركنز بوتشر، السجن عام ١٩٢٥ لإصداره نشرة مزورة. نهايته غير معروفة.

(الراجا ينظر حوله في الباحة ليرى أحداً ... ويرى بايك. بايك لم يلاحظه. الراجا يقترب من بايك.)

الراجا : بروفيسور بايك ...؟

بايك : (يقفز) أوه! - فعلاً، نعم - شكراً.

الراجا : (يصافحه) أهلاً وسهلاً.

بايك : تشرفنا، سيدي.

الراجا : (يشير إلى بايك ليجلس في كرسيه) تفضل ... أنا آسف جداً لجعلك تنتظر. لكن ما أقوله هو: سياسي دقيق المواعيد هو سياسي ليس لديه ما يكفي من العمل. بعبارة أخرى، استحالة.

بايك : أنا ممتن جداً لك.

الراجا : لا، لا - أنا سعيد بهذا. آمل أن يكون الفندق مريحاً؟ لسنا واحدة من سلاسل الفنادق العالمية. يجب ألاّ توهم نفسك بهذا الخصوص، مهما حاولنا إيهامك.

بايك : الفندق ممتاز، سموك.

الراجا : في الواقع، أنا واحد من ٥٤٢ عضواً في مجلس الشعب المنتخب، من هذه المقاطعة. شكراً جزيلاً على كتابك. لقد قرأت الرسائل الهندية. ربما تتساءل عما حدث لسيارات جدي.

بايك : لا، في الواقع لم أتساءل ... ماذا حدث لها؟

الراجا: قدمها أبي للمجهود الحربي. لا أستطيع أن أخمّن ما كان يدور في ذهنه. حملات في سيارات الرولز رويس،

ضباط في سيارات سباق إيطالية ... لكن بحلول ذلك الوقت كانت المجموعة قد عانت من حرب الاستنزاف التي تسبب بها كرم جدي. أعطى بعضها هدايا، أحياناً هدايا وداع لصديقاته. مما يوصلني إلى رسالتك. في البداية، هناك شيء مخيب للأمل. ليس هناك فلورا كرو في دفتر الزوار في نيسان ١٩٣٠. على أية حال، فإن مسؤول الأرشيف عندي تفوّق في عمله.

(الراجا يخرج رسالة من جيبه.)

بايك : رسالة من فلورا؟

الراجا : رسالة شكر.

بايك : هل لي أن أراها؟

(الراجا يعطيه الرسالة وينتظر بينما بايك يقرأها.)

أعطاها لوحة.

الراجا : أعتقد أننا تعرفنا عليها. أو المجلد الذي أخذت منه. منمنمة. من جيتا جوفيندا نحو ١٧٩٠، الفنان غير معروف. السلسلة غير كاملة، لكن رغم ذلك، أتمنى لو أن والدي أعطاها سيارة.

بايك : شكراً. نعم، بالفعل.

(يعيد إليه الرسالة.)

الراجا : أحضرت لك نسخة عنها.

(الراجا يعطي بايك نسخة عن الرسالة.)

بايك : شكراً. إنه لطف منك. الجيتا جوفيندا ... هل لذلك علاقة براعية، رادا؟

الراجا : بالتأكيد. إنها قصة رادا وكريشنا.

بايك : نعم. و... شهوانية؟ يمكن أن تكون عارية؟

الراجا : حسناً، دعنا نقل، حسب معرفتي بسموه، فإن اللوحة كانت ملائمة للمناسبة.

بايك : لوحة مائية، بالطبع على الورق.

الراجا : هل أنت على ما يرام، بروفيسور بايك؟

بايك : نعم، أنا بخير. شكراً. في الواقع، أنا مسؤول القسم، ليس لدينا رئيس ... أرجوك نادني إلدون.

الراجا : (ينهض) حسناً، إلدون ...

(يتصافحان.)

آمل أن أكون قد ساعدتك في إعداد سيرة الآنسة كرو.

بايك : نعم. بإمكانك أن تقول ذلك. شكراً على أية حال. شكراً جزيلاً. (متذكراً نفسه) شكراً، سيادتك. (مصححاً) سيدي.

الراجا : (بالهندية) وداعاً!

بايك : هل هذا اسمك المسيحي؟[1]

الراجا : في الواقع، أنا لست مسيحياً. كنت أقول وداعاً. (بالهندية) وداعاً!

بايك : (وحده؛ بصوت خفيض) أوه، عظيم.

(السيدة سوان وآنيش يجلسان في الحديقة وأمامهما جِن وتونيك، واللوحة المائية.)

السيدة سوان: كنت أشرب الشاندي إلى أن سافرت. الجن والتونيك يعيدانني إلى راولبندي. كان يُكتب على الزجاجات ماء تونيك هندي. فوجئت عندما اكتشفت أنها كانت هندية في كل مكان وأنها كانت دائماً كذلك. كان الكينين جيداً جداً للحماية من الملاريا، لكن العجيب أنه عديم المفعول بدون الجن. كان إريك يحلف به، بالجن أعني. كان يقول إنه أنقذ العشرات من أصدقائنا من الملاريا إلى أن تدمرت أكبادهم. ثم أصابته سكتة وهو في ميدان الكريكيت، كان المجنون يحكّم دون قبعة.

(آنيش والسيدة سوان يتبادلان الألوان المائية، حيث يعود كل لون إلى صاحبه.)

---

(١) الاسم الأول.

آنيش : من الغيتا غوفيندا. أواخر القرن الثامن عشر، على ما أعتقد.

السيدة سوان: كانت في حقيبتها.

آنيش : لوحتي كانت في صندوق أبي.

السيدة سوان: لم أخبر إلدون، فهو ليس من العائلة.

آنيش : شكراً. كنت في إنكلترا عندما مات أبي. مات في عيد الميلاد. أول عيد ميلاد أقضيه في لندن، في بيت للطلبة في لادبروك غروف. يوم تعيس. كان كل الطلاب قد ذهبوا إلى عائلاتهم، بالتأكيد. كنت الوحيد الذي بقي. لم يدعني أحد.

السيدة سوان: حسناً، أن تدعو هندوسياً إلى عيد الميلاد قد يكون إشكالياً. كان إريك يدعو مساعده إلى غداء عيد الميلاد. كان ذلك يفسد عملية القبعات الورقية.

آنيش : رن الهاتف طوال اليوم.

السيدة سوان: كان نبات الدبق مشكلة أخرى.

آنيش : كان يتوقف ثم يبدأ من جديد. تجاهلته. لم أكن أتلق هواتف أبداً. لكن في النهاية ذهبت وأجبت، كان ذلك عمي يتصل من جومابور ليقول إن أبي قد مات.

السيدة سوان: أوه، وفي عيد الميلاد!

آنيش : عدت إلى الهند. كانت لا تزال بلدي. لكني لم أحب طقوس الحداد. أردت أن أعود إلى إنكلترا، إلى أصدقائي الجدد. وهكذا فعلت. كنت في إنكلترا عندما علمت أن أبي ترك لي صندوقه القصديري الذي كان دائماً قرب سريره. في النهاية وصل، وكان مقفلاً. كسرت القفل. لم أرَ شيئاً ذا قيمة في الصندوق. كان مليئاً بالأوراق، الرسائل، الوثائق، تقارير مدرسية ... كان هناك قطعة ورق مقصوصة من جريدة - تقرير عن محاكمة ثلاثة رجال متهمين بالتآمر لإحداث اضطرابات في عيد الإمبراطورية في جومابور عام ١٩٣٠. كان اسم أبي هناك.

السيدة سوان: (تقرأ) نيراد داس، في الرابعة والثلاثين. هكذا عرفت السنة. كان عيد ميلاده في نيسان وعيد الإمبراطورية في أيار.

السيدة سوان: الرابع والعشرون من أيار، عيد ميلاد الملكة فيكتوريا.

آنيش : هكذا اكتشفت. لم يخبرني أبي أبداً.

السيدة سوان: وهذه اللوحة؟

آنيش: نعم. تحت كل شيء كانت هذه اللوحة. بورتريه لامرأة، عارية، لكن على الأسلوب الراجستاني القديم. والذي

حيرني أكثر أن المرأة كانت أوروبية. لم أستطع تخيّل من هي أو ماذا عنت. احتفظت بها، بالتأكيد، كل هذه السنوات. ثم، قبل أسبوع، وفي واجهة المكتبة ... كانت كرؤية الشبح. ليس شبحها؛ بل شبحه هو. كانت يد أبي، عمله، كبرت وأنا أراقبه يعمل. كنت قد رأيت مئة لوحة أصلية من رسم نيراد داس، وهنا كان أحد أعماله، ليس مرة واحدة، بل مكرراً عشرين مرة، معرض خاص. «الرسائل المجموعة لفلورا كرو»، ورأيت أنها كانت المرأة نفسها.

السيدة سوان: نعم، أوه نعم، إنها فلورا. إنها دقيقة كالمنمنمات الإنكليزية. لوحة مائية، أليس كذلك؟

آنيش: ألوان مائية وغواش[1].

السيدة سوان: لم يجعلها هندية.

آنيش: حسناً، لم تكن هندية.

السيدة سوان: نعم، أعرف، لست خَرِفة، أنا مسنّة فحسب. أعني أنه لم يرسمها مسطحة. كل شيء آخر يبدو هندياً، كالمينا ... القمر والنجوم. الطيور المغنية قرب الإطار ... والشجرة المخضرّة، متألقة جداً. هل هو ليل أو

(١) نوع من الألوان يتكون من صباغ ومادة لاصقة.

نهار؟ وكل شيء على مستويات مختلفة. لا تستطيع أن تحدد ما إذا كان الرسام داخل البيت أو خارجه وينظر إلى الداخل.

آنيش : إنها في بيت داخل بيت. المغول أتوا برسم المنمنمات من بلاد فارس، إلاّ أن الفن الإسلامي والفن الهندوسي مختلفان. الفنانون المسلمون كانوا واقعيين. بينما بالنسبة لنا نحن الهندوس، يجب تفسير كل شيء بلغة الرموز.

السيدة سوان: وكتاب مفتوح على السرير، تلك هي فلورا.

آنيش : نعم. إنها هي. انظري إلى حيث تتساقط أوراق الدالية، إنها تتساقط على الأرض. أعتقد أن والدي كان يعرف أن شقيقتك تموت.

السيدة سوان: أوه ...

آنيش : إنها ليست جالسة ليرسمها، بل إنها تستريح. الدالية تعانق جذع الشجرة الداكن.

السيدة سوان: الآن سيد داس، أحياناً الدالية هي دالية. سواء كانت جالسة ليرسمها أم أنها عمل من أعمال الخيال ...

آنيش : أوه، لكن الترميز -

السيدة سوان: هراء! هذا البيت داخل بيت الذي تتحدث عنه هو، كما يمكن لأي إنسان أن يرى، ناموسية. والكتاب

هو كتاب إميلي إيدن، كان في الحقيبة. كتاب أخضر وظهره بني. يجب أن تقرأ الحواشي!

(السيدة سوان وآنيش يغادران ويدخل بايك.)

بايك : كان الكتاب «في الريف» (١٨٦٦). كانت الآنسة إيدن تصطحب أخاها، الحاكم العام اللورد أوكلاند، في جولة رسمية في الريف. الجولة، التي ساندتها قافلة من عشرة آلاف شخص، بمن فيهم طبّاخ أوكلاند الفرنسي، دامت ثلاثين شهراً، وكتبت إميلي مئات الرسائل إلى شقيقاتها وصديقاتها في بريطانيا، دون أن تعلم، لحسن حظها، أن إنجاز الحملة الدبلوماسي والاستراتيجي كان مقدمة لأكبر كارثة عسكرية حلت بالجيش البريطاني، عندما دُمر الجيش في أفغانستان.

(نيراد داس وكومارسوامي يجلسان على شرفة فلورا. الوقت مساء، هناك بعض الظلمة. لم يشعلا المصباح. يسمع صوت سيارة توصل فلورا إلى بيت الضيافة. ضوء السيارة يري داس وكومارسوامي ينهضان ليحييا فلورا. تقترب من الشرفة، ظلمة من جديد، ترتعب قليلاً.)

فلورا : أوه، سيد داس!

داس : مساء الخير، آنسة كرو! أنا آسف إذا كنا قد أخفناك.

فلورا : والسيد كومارسوامي!

كومارسوامي: نعم، أنا هنا، آنسة كرو.

فلورا : مساء الخير. يا لها من مفاجأة.

كومارسوامي: أؤكد لك أننا لم نأت لنتطفل على ضيافتك -

فلورا : كنت أتمنى لو كان عندي بعض الويسكي لأقدمه لكم، ألا تدخلان.

كومارسوامي: سيكون أبرد إذا بقينا على الشرفة.

فلورا : دعني أجد نزرول.

كومارسوامي: من الواضح أنه ليس موجوداً. لكن ربما ما دامت سيدة المنزل قد حضرت يمكن إضاءة المصباح.

فورا : نعم، بالتأكيد.

كومارسوامي: ألطف بكثير من الجلوس في الضوء الكهربائي.

(كومارسوامي يشعل المصباح الزيتي.)

والقمر سيغطي الأسطح خلال دقائق ...

فلورا : تفضلا اجلسا!

كومارسوامي: هل لي أن آخذ هذا الكرسي؟

فلورا : لا، ذاك كرسي السيد داس. وهذه لي. وهكذا نترك لك الصوفا.

كومارسوامي: (يجلس) أوه نعم، مريحة جداً. شكراً، آنسة كرو. قال لي السيد داس بأنني أتجاوز حقنا في عدم إبلاغك بقدومنا لزيارتك دون إجراء الترتيبات اللازمة، والأكثر من ذلك أن ننتظرك هكذا كالمولاكواتيس. إذا كان الأمر كذلك فالذنب ليس ذنبه. أرجو أن توجهي استياءك إلي.

داس : الآنسة كرو لا تفهم مولاكواتيس.

كومارسوامي: الملتمسون!

فلورا : أنتم دائماً أصدقاء في هذا البيت.

كومارسوامي: سيد داس، ماذا قلت لك؟

فلورا : لكن ماذا بإمكاني أن أفعل من أجلكما؟

داس : لا شيء أبداً! إننا لا نطلب شيئاً!

فلورا : أوه ...

كومارسوامي: هل قضيت يوماً جميلاً، آنسة كرو؟

فلورا : يوم ممتع جداً. كنت أزور سمو الراجا.

كومارسوامي: يا إلهي!

فلورا : أعتقد أنك كنت تعرف ذلك، سيد كومارسوامي.

كومارسوامي: أوه، لقد كشفتني!

فلورا : أراني سياراته ... ودارت بيننا محادثة ممتعة، حول الفن ...

كومارسوامي: والشعر، بالتأكيد.

فلورا : والسياسة.

كومارسوامي: السياسة، نعم. آمل، نأمل كلانا - أن معرفتك بنا، أن معرفتنا، في الواقع - إذا كنا قد سببنا أي إحراج، إذا فكرت للحظة أنني أنا شخصياً سببت لك عن قصد، بعلاقتي -

فلورا : توقف، توقف. سيد داس، سأسألك أنت. ما المشكلة؟

داس : المشكلة؟

فلورا : سيثور غضبي خلال لحظات.

داس : نعم، نعم، معك حق. صديقي كومارسوامي، متحدثاً بصفته رئيساً للجمعية الثيوصوفية، يريد أن يقول، إنه إذا كان سموه قد أنّبك أو تحدث معك بشكل غير لائق عن ارتباطك بالجمعية، فإنه يشعر بالمسؤولية، وهو في الوقت نفسه يريدك أن تعرفي -

فلورا : سموه لم يذكر الجمعية الثيوصوفية أبداً.

داس : آه.

كومارسوامي: لم يذكرها أبداً، آنسة كرو؟

فلورا : أبداً.

كومارسوامي: أوه ... حسناً، ذلك جيد!

فلورا : ماذا حدث؟

كومارسوامي: آه حسناً، ليس مهماً. أنا آسف أني ذكرتها. ويجب أن نتركك الآن، لم يكن من الملائم أن نزعجك في الأصل. هل ستأتي، سيد داس؟

فلورا : آمل ألاّ يكون لذلك علاقة بمحاضرتي؟

كومارسوامي: (ينهض) أوه لا! لا بالتأكيد!

داس : لا شيء!

كومارسوامي: قال السيد داس إنه لا ينبغي أن نقول شيئاً، وقد كان محقاً. أنا آسف. تصبحين على خير، آنسة كرو - (يصيح كومارسوامي على أحد في البعيد، بالهندية، ويأتي الرد من خلال خشخشة عدة حصان وعربة؛ يخرج كومارسوامي.)

داس : أنا قادم، سيد كومارسوامي. أرجو أن تنتظرني لحظة.

فلورا : إذا كنتم تتوقعون أن تكونوا أصدقائي، يجب أن تتصرفوا كالأصدقاء وليس كما لا أدري ماذا أسميتهم. قل لي ماذا حدث.

كومارسوامي: (خارج المسرح) سيد داس!

داس : (يصيح) أرجوك انتظرني!

فلورا : حسناً؟

داس : لقد أُغلقت الجمعية الثيوصوفية. أتى الأمر إلى بيت السيد كومارسوامي الليلة الماضية.

فلورا : لكن لماذا؟

داس : بسبب الشغب الذي حصل في المدينة.

فلورا : الشغب؟

داس : نعم، الشغب.

فلورا : أعرف عن موضوع الشغب. أراد الهندوس من المسلمين أن يغلقوا محلاتهم. ما علاقة ذلك بالجمعية الثيوصوفية؟

كومارسوامي: (خارج المسرح) أنا ذاهب، سيد داس!

داس : (يصيح) أنا قادم!

(لفلورا) السيد كومارسوامي رجل يرتدي العديد من القبعات! وسمو الراجا ليس قومياً. يجب أن أتركك، آنسة كرو. (يتردد.) أعتقد أني لن أتمكن من الحضور في الغد. هل تمانعين إذا أخذت لوحتي الآن؟

فلورا : أعتقد أن ذلك يعود لك، سيد داس. وضعت كل شيء في الداخل.

(داس يطلب إذناً بأن يشعل الضوء الكهربائي.)

داس : هل لي؟

(يبدأ بتجميع أغراضه. فلورا تطفئ الضوء الكهربائي.)

فلورا : أعتقد أني يجب أن أغادر غداً.

داس : غداً؟

فلورا : أعتقد أني يجب أن أفعل ذلك. كل يوم يبدو أكثر حراً من اليوم السابق.

داس : نعم، أنت على حق بالتأكيد. الرطوبة ...

فلورا : سيد داس، هل أخبرت الناس بأني مريضة؟

داس : ماذا تقصدين؟

فلورا : أني أتيت إلى الهند من أجل صحتي؟

كومارسوامي: (من مبعدة) لا أستطيع الانتظار، سيد داس!

داس : (يصيح) لحظة!

(لفلورا) لماذا تسأليني عن ذلك؟

فلورا : لقد تركك.

(يسمع صوت الحصان والعربة.)

داس : سأمشي، إذاً.

فلورا : يبدو أن كل الناس من الراجا إلى الحاكم يعرفون كل شيء عني. إذا أردت أن يعرف الناس شيئاً عنِّي فسأخبرهم بنفسي. آسفة لذكر ذلك، لكني أعتقد أنه إذا حصل خطأ بين صديقين، فالأفضل دائماً أن يُذكر.

داس : أوه ... عزيزتي آنسة كرو ... كل ذلك كان معروفاً عنك قبل أن تصلي إلى جومابور بوقت طويل. ذكرت رسالة السيد تشامبرلين تماماً لماذا ستأتين. هكذا تسير الأمور هنا. لم تعتبر المعلومات شخصية، مجرد أن يتم التعامل مع الأمور بلباقة.

فلورا : أوه ...

داس : أما فيما يتعلق بالراجا والحاكم، فأنا متأكد من أنهما عرفا قبل أي شخص آخر. رسالة من إنكلترا للسيد كومارسوامي لا بد أن تُفتح.

(داس يرتبك عندما يرى دموعها.)

فلورا : أوه ...

داس : لا ينبغي أن تلومي نفسك. أرجوك.

فلورا : أوه، سيد داس ... أنا سعيدة جداً ... وآسفة جداً. يا لي من مغفلة. هل معك منديل؟

داس : نعم ... بالتأكيد ...

فلورا : شكراً. الآن جعلتك تمشي. أترك كل شيء هنا.

داس : المكان ليس بعيداً والقمر يصعد، بإمكاني تدبُّر كل شيء دون صعوبة.

(يجلب الحامل والصندوق ويعود لإحضار قطعة القماش.)

فلورا : سيد داس، لا تأخذها. (وقفة) إذا كانت ما زالت هدية، أود أن أحتفظ بها، تماماً كما هي.

داس : غير منتهية؟

فلورا : نعم. لتذكّرني بصديقي وزميلي في الفن نيراد داس. رائحة منديلك فيها شيء ... لطيف.

داس : اللوحة ملكك إذا أردت. طبعاً، يجب أن أحررها من الضاغط، وإلاّ فلن يكون من السهل أن تسافر معك في حقيبتك. ربما سأجد سكيناً في المطبخ، لنزع المسامير الصغيرة.

فلورا : هناك مقص على الطاولة.

داس : آه، نعم. شكراً. لا - أعتقد أني سأشوهها. هل لي أن أنادي نزرول؟

فلورا : كنت أعتقد -

داس : نعم - السيد كومارسوامي أرسله. إنه يشك بكل أحد. أنا آسف.

فلورا : لا يهم.

(تنقطع الكهرباء. تنطفئ كل الأضواء. يستمر المشهد على ضوء القمر.)

أوه!

داس : نعم. أخشى أن هذه هي جومابور.

فلورا : ليس مهماً.

داس : هل سنلتقي ثانية؟

فلورا : ربما، إذا عدت من هذا الطريق. يجب أن أكون في بومبي في موعد أقصاه العاشر من تموز. سفينتي تبحر في الحادي عشر.

داس : يمكن أن تذهبي في سفينة أخرى بعد ذلك.

فلورا : لا، لا أستطيع. أختي ... أوه، سترتعب، لكن لا يهم - أختي ستلد في تشرين الأول.

داس : هذه أخبار مبهجة.

فلورا : أوه جيد.

داس : آنسة كرو ... في الواقع، لدي شيء ... قررت أن لا أريه لك، لكن إذا كنا أصدقاء من جديد ... أريدك أن تريه.

فلورا: إذاً أحب أن أراه.

(داس يخرج لوحة مائية صغيرة من جيبه.)

داس : لقد لففتها، رغم أنها ورقة فحسب.

(يعطيها إياها.) يمكن أن أشعل المصباح.

فلورا : هناك ما يكفي من الضوء. لقد كان السيد كومارسوامي محقاً حول القمر.

(فلورا تزيل اللفافة.)

أتوقع أن تكون رسمة، أليس كذلك؟ ... أوه!

داس : (بقلق) نعم!

نكتة جيدة، أليس كذلك؟ منمنمة راجبوتانية، رسم نيراد داس!

فلورا : (دون أن تلتفت إليه) أوه ... إنها أجمل شيء ...

داس : (مشرقاً) أنا مسرور جداً لأنها أعجبتك! باستيش مرح -

فلورا : (تنتبه إليه الآن) هل ستكون هندياً الآن؟ أرجوك لا تفعل.

داس : (ملتفتاً إليها) أنا ... أنا هندي.

فلورا : فنان هندي.

داس : نعم.

فلورا : نعم. هذه لك.

داس : نعم. أنت لست منزعجة؟

فلورا : لا، أنا سعيدة. فيها راسا.

داس : أعتقد ذلك. نعم. آمل أن تكون كذلك.

فلورا : نسيت اسمها.

داس : (وقفة) شرينغارا.

فلورا : نعم. شرينغارا. راسا الحب الشهواني. إلهها فيشنو.

داس : نعم.

فلورا : ولونها الأزرق المسود.

داس : شياما. نعم.

فلورا : يبدو لوناً غريباً للحب.

داس : كان كريشنا يرسم غالباً بالشياما.

فلورا : نعم. أرى ذلك الآن. إنه لونه في ضوء القمر.

(يقفان جامدين، وباللحظة نفسها تحجب الغيوم ضوء القمر ويسود الظلام.)

فلورا : (مسجلة)

تتكثف الحرارة وتتماسك كاللؤلؤة على حنجرتي،

دعنا نذهب وننزلق كرأس لسان في لوحة لموديلياني،

تفيض إلى الدلتا، الآن في لزوجة الملح،

ضائعة بين أشجار المانغروف والرطوبة الخانقة،
لؤلؤة تعود إلى المحار –

(الفجر.
فلورا تضطجع داخل الناموسية. تنظر إلى ساعتها على الطاولة التي قرب السرير، وتشرب من كأس الماء. يسمع صوت بايك وديليب ينشدان دون أن يكونا مرئيين.)

بايك و**ديليب**: «لا نريد الدوامة، لا نريد الجنركشة،[١]
كل ما نريده هو ليموزين وبطاقة لدكان الجنس.
ألبستهن الداخلية مصنوعة من الحرير الصيني،
أحذيتهن مصنوعة من جلد الثعبان،
قاعاتهم مفروشة بجلود النمور، وحيطانهم مزينة برؤوس الثيران.»

(خلال هذا، تنهض فلورا، عارية تلف روباً حول جسمها وتنزل عن السرير. تذهب إلى الحمّام.
بايك وديليب يدخلان. الوقت فجر بالنسبة لهما أيضاً. سهرا طوال الليل. يحمل كل منهما زجاجة بيرة. يشعران بالسعادة وليس بالسكر.)

---

(١) عربة على عجلتين يجرها رجل في الهند، كانت تستعمل في اليابان.

بايك وديليب: لا نريد رجل اليوغا، لا نريد بلافاتسكي، كل ما نريده هو حساب في البنك وتنورة في تاكسي!»

بايك : (رافعاً زجاجته) بصحة مدام بلافاتسكي ولويس ماكنيس!

ديليب : (رافعاً زجاجته) بصحة مدام بلافاتسكي والجمعية الثيوصوفية، إضافة للقومية الهندية!

بايك : حقاً؟

ديليب : أوه نعم. لذلك أغلق فرع الجمعية في جومابور. دراسة الديانة الهندية شيء جيد، دون شك، إلاّ أن السياسة هي دائماً الطفل في ماء الحمام.[١] أعذرني، سأرتاح قليلاً.

(ديليب ينام على الأرض على ظهره.)

بايك : لا نريد سجلات الجمعية الثيوصوفية، لا نريد ملفات الجرائد محروقة ... كل ما نريد هو الوقائع وأن نتمكن من قول الحقيقة على طريقتنا ... كانت ملابسها الداخلية من الحرير الصيني، وقصائدها في شارع بو، امتدت قائمة أصدقائها من الطرف إلى الطرف ... كل ذلك فيه قصة جهنمية. لكن لا نريد اللوحة المائية، لا نريد اللوحة التي رسمها موديلياني ... الكأس تسقط

---

(١) «رمي الطفل مع ماء الحمام» تعبير اصطلاحي يعني حتمية إزالة شيء جيد عندما يكون المقصود التخلص من شيء سيء.

ساعة بعد ساعة، ونحن من جديد في الحساء ... لكننا لن نترك حجراً دون أن نقلبه. كان عنده ولد. يا إلهي، هذا البلد كبير جداً! - ديليب -؟

(ديليب نائم. بايك يهزه.)

ديليب! لقد طلع الصبح.

(يستيقظ ديليب منتعشاً.)

ديليب : آه نعم. هل تريد أن تأتي إلى البيت لتناول الفطور؟

بايك : أوه ... شكراً!

ديليب : سيكون اليوم حاراً.

بايك : كل يوم حار.

ديليب : لا، إلدون، لم يمر عليك يوم حار بعد. لكنك ستذهب إلى الجبال، وهكذا فستكون بخير.

(يسمع صوت سيارة تقترب. تخرج فلورا من الحمام، مرتدية لباسها الداخلي ورداءها. تأتي للقاء ديورانس عند الشرفة.)

فلورا : ديفيد ...؟

ديورانس: أنت مستيقظة!

فلورا : استيقظت مع الفجر. ماذا تفعل؟

ديورانس: (مقترباً) أخشى أني أتيت لإيقاظك. ألا تنامين؟

فلورا : نعم، نمت باكراً واستيقظت باكراً.

ديورانس: وعدتك بجولة بالديملر - تذكرين؟

فلورا : نعم.

ديورانس: أردت أن أريك شروق الشمس. هناك مكان جميل يستغرق الوصول إليه عشر دقائق فقط. هل تأتين؟

فلورا : هل أستطيع الذهاب بالرداء؟

ديورانس: حسناً ... الأفضل ألاّ تفعلي.

فلورا : سأرتدي ثيابي إذاً.

ديورانس: جيد.

فلورا : تعال.

(يصعد ديورانس على درجات الشرفة.)

لن أتأخر.

(تدخل إلى غرفة النوم. ترتدي فستاناً بسرعة.)

ديورانس: (منادياً من الشرفة) لقد حدث الآن ألعن شيء يمكن أن تتصوريه.

فلورا : لا أستطيع أن أسمعك!

(يدخل ديورانس، ويقف قرب باب غرفة النوم.)

ديورانس: ذاك الرجل، داس، كان على الطريق. أنا متأكد أنه هو.

فلورا : (تلبس ثيابها) حسناً ... لِمَ لا؟

ديورانس: لم يتعرف علي.

فلورا : ماذا؟

ديورانس: لوّحت له بيدي فأدار لي ظهره. فكّرت - «حسناً، هذه إشارة أولى!»

فلورا : أوه! لا يزال فيه أمل.

ديورانس: ستكون الخطوة التالية رمي الحجارة. (يلتفت إلى ملاحظتها) ماذا؟

فلورا : أدخل، أنت في أمان.

(يدخل ديورانس إلى غرفة النوم. فلورا، مرتدية ثيابها، تنتعل حذاءها، تسرح شعرها ...

يلتقط ديورانس كتاب فلورا من جانب السرير غير المرتب.)

ديورانس: أوه ...! أنت تقرئين إميلي إيدن. قرأتها قبل سنوات.

فلورا : سيفوتنا شروق الشمس.

ديورانس: (حاملاً الكتاب) هناك جزء في مكان ما من الكتاب... يذكرني بك. «اقطعوا رؤوسهم!»

فلورا : رؤوس من؟

ديورانس: مهلاً، سأجده - كان عيد ميلاد الملكة فيكتوريا ... يكتشف هدية الراجا.)

أوه!

فلورا : ماذا؟

ديورانس: لا شيء. وجدت العلامة التي تضعينها في الكتاب.

فلورا : أنا جاهزة. إنها ليست علامة، لقد وضعتها هناك كتذكار.

ديورانس: من أين حصلت على شيء كهذا؟

فلورا : سموه أعطاني إياها.

ديورانس: لماذا؟

فلورا : لأنني أكلت مشمشة. لأنه راجا. لأنه كان يأمل بأن أنام معه. لا أعرف.

ديورانس: لكن كيف له أن يشعر ... بحميمية معك؟ هل التقيته من قبل؟

فلورا : لا، ديفيد -

ديورانس: لكن يا فتاتي العزيزة، بقبولك هدية كهذه ألا ترين - (وقفة) حسناً، إنها حياتك، بالتأكيد ...

فلورا : هل نذهب؟

ديورانس: ... لكني في موقف صعب للغاية الآن.

فلورا : لماذا؟

ديورانس: هل زارك؟

فلورا : أنا زرته.

ديورانس: أعرف. هل زارك هو؟

فلورا : اهتم بما يعنيك.

ديورانس: لكن هذا يعنيني.

فلورا : لأنك تعتقد أنك تحبني؟

ديورانس: لا، ... مراقبة ما يفعله سموه أحد ... أعني أني أكتب تقارير لدلهي.

فلورا : (متسلية) يا للسماء!

ديورانس: أنت إنسانة حساسة سياسياً، في الواقع، أن تأتي برسالة تعريف من ذلك الرجل تشامبرلين ... أعني أن هذا النوع من الأشياء -

فلورا : أوه، عزيزي الشرطي.

ديورانس: كيف لي أن أتجاهلها؟

فلورا : لا تتجاهلها. أكتب في تقريرك ما شئت. لا أكترث لذلك. أنت تكترث. أنا لا. لم أكترث في حياتي.

(فلورا تخطو باتجاه الشرفة.)

(بيأس) أوه - انظر إلى السماء! سنتأخر!

ديورانس: (لتذهب إلى الجحيم) تعالي! طريقنا إلى الغرب - إذا كنت تعرفين قيادة السيارة فسنصل في الموعد.

(يندفعان باتجاه السيارة ... يسمع إغلاق الأبواب، يشتغل المحرك وتنطلق الديملر بما يبدو من الصوت أنه سرعة خطرة.)

(فلورا تكتب على الطاولة على الشرفة بعد أن حزمت حقيبتها.)

بايك : ربما كان الرجل الوكيل السياسي في الحاكمية، الكابتن ديفيد آرثر ديورانس، الذي أخذ ف. ك. إلى الرقص وفي جولة على ظهور الخيل. قُتل في كوهيما في مارس ١٩٤٤ عندما أوقفت القوات البريطانية والهندية تقدم القوات اليابانية.

فلورا : «رغم ذلك، أشعر أفضل من قبل بكثير. بدأت الحيوية تتدفق بي من جديد، انظري إلى المرفقات.»

بايك : «لؤلؤة»، متضمنة في «حبر هندي» (١٩٣٢).

فلورا : سأرسل لك نسخاً من كل ما أكتب في حال حملتني رياح المونسون أو النمور، وإذا حصلت على جنيه مقابلها ضعيه في صندوق ساشا.»

بايك : الإشارة غامضة.

(بايك يغادر)

(السيدة سوان وآنيش يدخلان. هو يحمل حقيبته. وهي تحمل نسخة فلورا من إميلي إيدن.)

آنيش : سيدة سوان ... رسالة فلورا تقول، «خمني - لن توافقي ...» ... وحاشية السيد بايك تتضمن أن الوكيل السياسي، الكابتن ديورانس، هو الذي ...

السيدة سوان: السيد بايك يفترض أكثر من اللازم.

آنيش : نعم! لماذا ما كنت لتوافقي على الكابتن ديورانس؟ من المؤكد أنها عنت ...

السيدة سوان: عنت ماذا، سيد داس؟

آنيش : لا أقصد الإساءة.

السيدة سوان: إذاً يجب أن تكون حذراً في ألاّ تسيء.

آنيش : لكن هل كنت سترفضين ضابطاً في الجيش البريطاني، سيدة سوان؟ أكثر مما ترفضين رساماً هندياً؟

السيدة سوان: السيد بايك محق تماماً في هذه النقطة. في عام ١٩٣٠ كنت أعمل في صحيفة شيوعية. مما يوضح أن الناس يفاجئونك أحياناً. لكنك تعرف ذلك من خلال أبيك، أليس كذلك؟

آنيش : لماذا؟

السيدة سوان: لا شك أنه فاجأك. رعب احتفالات عيد الإمبراطورية، رامي المانغو على سيارة الحاكم.

آنيش : نعم، نعم. لا شك أنه - تغير.

السيدة سوان: نعم. المرء يتغير.

(تعطي آنيش كتاب إميلي إيدن.)

هذا لك. كان كتاب أبيك. اسمه عليه.

(آنيش يأخذ الكتاب دون أن يتكلم ويفتحه.)

آمل أنك لن تبكي. وينبغي ألاّ تفترض شيئاً. عندما قالت فلورا إني لن أوافق، فإنها لم تعن هذا الرجل أو ذاك. السجائر، الويسكي، والرجال لم تكن على القائمة. لم تكن بحاجة الدكتور غابي ليخبرها ذلك. لا، ما كنت لأوافق. لكن نقطة ضعف فلورا كانت العلاقات العاطفية. إذا جازت التسمية.

آنيش : كانت على علاقة عاطفية بوالدي.

السيدة سوان: ممكن تماماً. أو مع الكابتن ديورانس. أو سمو راجا جومابور. أو أحد آخر تماماً. لا يهم، عندما ننظر إلى الوراء. لم يكن الرجال مهمين بالنسبة لفلورا. لو كانوا مهمين، لكانوا أقل. كانت تستعملهم كالبطاريات. عندما تنتهي الأمور، تضع واحدة أخرى ... سأرافقك إلى البوابة. إذا قررت أن تخبر السيد بايك عن اللوحة المائية، أنا متأكدة أن فلورا ما كانت لتمانع.

آنيش : لا. شكراً، لكني أفكر بأبي. ما كان ليحب ذلك، حتى في حاشية. وهكذا فلن نقول شيئاً للسيد بايك.

السيدة سوان: جيد. أنا لا أقول كل شيء للسيد بايك كذلك. لقد كان يوماً ممتعاً، بفضلك، سيد داس.

آنيش : شكراً على الشاي. لقد كانت الفيكتوريا سبونج ممتازة، ومربى توت العليق كذلك.

السيدة سوان: لا يزال عندي عليق يجب أن أجمعه، وموسم الخوخ قادم كذلك. كنت دائماً أحب أشجار الفواكه عندكم.

آنيش : عندنا؟

السيدة سوان: بساتين المشمش - اللوز - الخوخ - لم أكن أحب الفواكه الجنوبية، مانجو بو - بو وأمثالها. أما في

الشمال الغربي ... لم أكن مستعدة عندما وصلت. كان هناك ريح تعصف. ولم أرَ في حياتي زهوراً كتلك، كانت تعصف في كل مكان. كان هناك أكوام من الزهور البيضاء كالثلج مكدسة قرب جدران المقبرة. كان علي أن أركع على الأرض لأزيح البتلات عن شاهدة قبرها لأقرأ اسمها.

(لقد غادر آنيش وتبقى السيدة سوان.)

(نِل تتحني فوق شاهدة قبر ... يراقبها إريك.)

نِل : «فلورانس إيديث كرو ... ولدت في ٢١ آذار ١٨٩٥... ماتت في العاشر من حزيران ١٩٣٠. فلترقد بسلام.»

إريك : أخشى أن هذا بسيط جداً. آمل بأن يكون كل شيء على ما يرام.

نِل : نعم. هذا طيب منك.

إريك : أوه لا، إننا نعتني بمن لنا. بالتأكيد.

نِل : أعتقد أنها كانت ستحب أن يكتب «شاعرة» تحت اسمها. إذا تركت بعض المال من أجل أن ...؟

إريك : لدي أموال تحت تصرفي. اعتمدي علي، الآنسة كرو. شاعرة. كان علي أن أفكر بذلك. هكذا نتذكر شقيقتك.

نِل : حقاً؟

إريك : قرأت من قصائدها ذات مساء. هناك عادة في النادي أن يطلب من الضيوف أن يغنوا مقابل عشائهم وقرأت لنا الآنسة كرو ... من أعمالها.

نِل : هذا طريف.

إريك : (يضحك ضحكة خفيفة) نعم. إننا متخلفون قليلاً، على ما أتوقع. لكننا جميعاً أحببناها كثيراً. لم نكن نعرف ماذا نتوقع لأننا كنا نعرف أنها تحت رعاية السيد تشامبرلين الذي كان قد حاضر في المدينة قبل ذلك بسنوات. ربما كنت تعرفينه.

نِل : نعم. لست على صلة به هذه الأيام.

إريك : آه. كانت هنا في هذا الوقت من العام، أليس كذلك؟ كان واضحاً أن صحتها لم تكن على ما يرام - هذه الدرجات التي صعدناها، مثلاً، بالكاد استطاعت صعودها. رغم ذلك، فالموت في الهند غير متوقع في الغالب، رغم أنه أكثر شيوعاً، إذا كنت تفهمين

ما أعني. أنا أتكلم أكثر مما يجب. أنا آسف جداً. سأنتظر عند البوابة. أرجوك، ابق قدر ما تشائين، لا أحد ينتظرني.

نِل : لن أتأخر. لم تكن فلورا تحب الأشخاص الكئيبين.

(إريك يتركها.)

(بصوت خفيض) وداعاً يا عزيزتي، ... أوه - اللعنة!

(... لأنها تنفجر باكية. تبكي دون تحفظ.)

إريك : (عائداً) أوه ...، هكذا ...

نِل : أوه، أنا آسفة.

إريك : لا - أرجوك ... هل لي ...؟

(تتوقف نِل عن البكاء لبضعة لحظات.)

نِل : لقد لوثت معطفك. لدي منديل في مكان ما.

إريك : هل تريدين أن ...؟ هنا ...

نِل : نعم. شكراً.

(تستعمل منديله.)

أتيت مبكرة أكثر من اللازم. لم أستطع الانتظار سنة كاملة لكن ... حسناً، على أية حال. شكراً، إنه رطب.

هل أحتفظ به؟ أوه، انظر لقد وجدت منديلي، يمكننا أن نتبادل.

إريك : لا تقلقي على شيء. خسارة أنك جئت وحيدة. لديك أخت أخرى، على ما أعتقد. أو أخ؟

نِل : لا، لماذا؟

إريك : أوه. كانت فلورا قلقة تريد العودة إلى إنكلترا لتصبح خالة، كما قالت.

نِل : نعم. ولدت في تشرين أول. عاشت فترة قصيرة جداً، لسوء الحظ. كان هناك مشكلة.

إريك : أوه. أنا آسف.

نِل : لذلك لم أستطع أن آتي قبل الآن.

إريك : نعم، أفهم. يا للحظ السيء. ماذا كان اسمه؟

نِل : ساشا.

السيدة سوان: ألكساند. ألكساندر بيرسيفال كرو. لطيف منك أن تسأل. لا أحد يفعل ذلك. ماذا عن الزهور!

إريك : نعم، إنها بقعة رائعة، أليس كذلك؟ آمل أن تبقي فترة هنا. المرة الأولى في الهند؟

نِل : نعم.

إريك : احذري الحجر المنفلت هنا. هل لي ...؟

نِل : شكراً. آسفة لأني بكيت، سيد سوان.

إريك : لن أخبر أحداً. بالمناسبة، نادني إريك. لا أحد يدعوني سيد سوان.

نِل : إريك، إذاً.

إريك : هل تحبين الكريكيت؟

نِل : (تضحك) حسناً، لا ألعب كثيراً.

إريك : هناك مباراة غداً.

نِل : هنا؟

إريك : أوه نعم. سنشكل فريقاً العام القادم.

نِل : من أنتم؟

إريك : الهند.

نِل : أوه.

(حالما يذهبون، يدخل بايك يبحث عن القبر. يجده، يخلع قبعته ويقف ناظراً إليه.)

فلورا : «عزيزتي، هذا كل شيء من جومابور، لأني حزمت أمتعتي، البورتريه وكل شيء، وسيأتي السيد كومارسوامي ليأخذني إلى المحطة.»

(تغلق الحقيبة. تمسك بنسختها من كتاب إميلي إيدن.)

«سأضع هذه في البريد حالما أصل إلى جايبور. لن أضعها في البريد هنا لأني لا أريد أن أفعل ذلك. أحس بأني نشيطة جداً هذا الصباح، وسعيدة كذلك، لأن شيئاً جيداً حدث هنا جعلني أشعر بشكل أفضل حول مودي والعودة إلى باريس. ذلك ذنب سأحمله معي إلى القبر، لكن روحي قد تبقى كلطخة صباغ على ورقة، كما لو أنني كنت دائماً هنا، مثل رادا التي كانت أجمل الراعيات، عارية للحب في منزل فارغ.»

(في مكان آخر، نِل تركع على الأرض، تفتش في حقيبة فلورا. تنظر إلى الفستان الأزرق لبرهة. تجد قطعة القماش الملفوفة. تنظر إليها وتعيدها إلى مكانها. يدخل نزرول ليأخذ حقيبة فلورا إلى المحطة.

تذهب فلورا إلى القطار حاملة نسخة من إميلي إيدن. يظهر القطار من جديد. كومارسوامي، حاملاً مظلته الصفراء، على الرصيف ليستأذن من فلورا. يضع إكليلاً حول عنقها. يضع نزرول حقيبة فلورا على الرف فوق مقعدها. تدخل فلورا إلى عربة القطار، تعطي نزرول إكرامية، وتودعه.

نِل تجد نسخة فلورا من كتاب إميلي إيدن في الحقيبة. تفتحه وتجد هدية الراجا في الكتاب. تعيد وضع «العلامة» مكانها وتلقي نظرة على الكتاب.

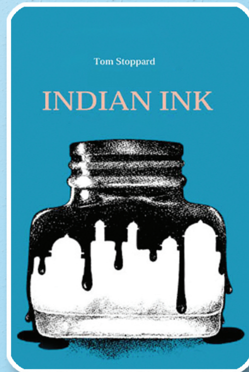
تلوّح فلورا بيدها عندما يشرع القطار بالتحرك. خلال تسجيل رسالة إميلي إيدن، تجد فلورا المكان الذي كانت تقرأ فيه، وتبدأ بالقراءة لنفسها حيث نسمع صوتها.)

فلورا : (مسجلة) «سيملا، السبت الخامس والعشرون من أيار ١٨٣٩. أتت الحفلة الراقصة بمناسبة عيد ميلاد الملكة وكانت ناجحة جداً ... بين الخيمتين كان هناك رصيف عريض للرقص، مقوَّس ومربوط بالحبال المغطاة بالزهور ... كان هناك معبد هندوسي قديم جداً أيضاً مضاء بشكل جميل جداً. لا شك أن فيشنو، إله المعبد، شعر بالإهانة. تعشينا في السادسة، ثم شاهدنا الألعاب النارية، ثم قهوة، ثم رقص الجميع حتى الثانية عشرة. كانت أجمل أمسية حضرتها؛ القمر رائع، والجبال بدت ناعمة ومتجهمة بعد كل الألعاب النارية والشهب. قبل عشرين سنة لم يوجد أي أوروبي هنا، رغم ذلك ها نحن هنا مع فرقة موسيقية، ونطلق ملاحظات حول أن

حساء آلا جوليان الذي يقدمه سينت كلوب أفضل من أنواع الحساء الأخرى، وأن أكمام فساتين بعض السيدات كانت أضيق من المعتاد في شهر آذار، وهكذا، وكل هذا في وجه هذه الجبال العالية، ونحن، مئة وخمسة أوروبيين وأوروبيات محاطون بما لا يقل عن ثلاثة آلاف من سكان الجبال، الذين لفّوا أنفسهم ببطانياتهم، وكانوا ينظرون إلى ما نسميه تسلياتنا المؤدبة، وينحنون حتى الأرض كلما اقترب منهم أوروبي. أتساءل أحياناً لماذا لا يقطعون رؤوسنا جميعاً وينسون أن شيئاً قد حصل؟»

الطبعة الأولى / ٢٠١٢م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة



www.syrbook. gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٢٣٢١١٦٤
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٣م

سعر النسخة ١١٠ ل.س أو ما يعادلها